الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعةيحي فارس بالمدية
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة وأدب عربي

السّرد التّاريخي وأشكال المقاومة الثّقافية في "رواية شبح الكاليدوني" لـ محمد مفلاح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
بوجلول يمينة
بوضياف أميرة

إشراف الدكتورة:
هجيرة بوسكّين

السنة الجامعية :1440/1441هـ- 2019/2020م.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

اللهم إنا نشكرك شكرا جزيلا أن هديتنا و وفقتنا لإتمام هذا البحث ولبلوغ هذه المرتبة، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

كما نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة التي كانت لنا في الدّرب أكثر من موجّهة وناصحة الأستاذة الفاضلة الدكتورة هجيرة بوسكين

التي توسّمت فينا الخير، و لم تبخل علينا بإرشاداتها وبما أوتيت من إمكانيات مادية ومعنوية، فكانت لنا عونا في إتمام هذا البحث .فما وجد في هذا البحث من فضل فإليها يرجع وما وجد من تقصير فإلينا ينسب.

ونشكرها على صبرها وسعة صدرها معنا جزآك الله كل الخير أستاذة .

كما لا يفوتنا أن نشكر أعضاء لجنة المناقشة على تكبّدهم عناء تصحيح وتدقيق هذه المذكرة جزاهم الله كل خير. وكل الأساتذة اللذين مرّوا بنا في طريق العلم والتّعلم.

إهداء

إلى الذي أوصى بهما الرحمان خيرا، إلى من لا استطيع أن أوفيهما حقهما ولا تكفيهما الكلمات

إلى من علماني معنى الصبر والإرادة لتحقيق الأمنيات، إلى من أمسكا بيدي ودفعاني لخوض غمار البحث والمطالعة: إلى أمي وأبي.

إلى رفيقات عمري وسندي في الحياة أخواتي الغاليات: إيمان، سهام ،فيروز ، رزيقة.

إلى من شجّعني واعتبر طريقي طريقه إلى وحيدي وحبيبي أخي الغالي رابح .

إلى كل أفراد عائلتي الكبيرة، إلى أعمامي وعماتي وخالتي وأخوالي الذين شجعوني و توسّموا فيّ الخير.

إلى من تقاسمت معهن الأيام وسنين الإقامة الجامعية، بمرها وحلوها صديقاتي : سهام ، خديجة ، ابتسام ، حياة ، سعيدة ، هاجر.

إلى زملائي وزميلاتي من جمعتنا أيام العلم والتحصيل : هدى ، سعاد ، فريال ، نصيرة ، خولة ، محمد ، عبد الغفور .

إلى من تقاسمت معي هذا البحث ومشقته وتعبه صديقتي وأختي وزميلتي : أميرة.

إلى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، ولا أنسى من ساعدني في طبع هذه المذكرة الأخ سيدعلي .إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي وسقطوا سهوا عن قلمي .اهدي عملي هذا .

بوجلول يمينة

إهداء:

إلى ....رمز الحنان وبلسم الشفاء، إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات....أمي نبع الصفاء.

إلى ....من أخذ بيدي وأنار لي طريق العلم وشجّعني في رحلتي إلى الخير والنجاح...أبي الفاضل**(رحمه الله).**

إلى ....من ساندوني ووقفوا بجانبي.....إخوتي وأخواتي وجميع أسرتي الأعزاء

إلى ....من علموني حروفا من ذهب وكلمات من درر ....الأساتذة الأجلاء

إلى ....من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي.....الأصدقاء الأوفياء

إلى ....الشموع التي تحترق لتضيء للآخرين ،إلى الشموع التي ذابت في كبرياء ....جميع العلماء الأتقياء.

إلى ...كل من كان النجاح طريقه والتفوق هدفه والتميز سبيله.....بناة المستقبل إليكم إكراما ووفاء.

********أهدي هذا الإهداء إلى هؤلاء ********

بوضياف أميرة

مقدمة

مقدمة :

تعدّ الرّواية من بين أكثر الأجناس الأدبية الحديثة انتشارا وتداولا وقراءة في هذا العصر، وقد استطاعت أن تحافظ على وجودها بفضل انفتاحها على بقية الأجناس الأخرى باعتبارها جنسا أدبيا هجينا يقبل التحاور والاندماج مع باقي الأجناس والعلوم والفنون الإنسانية الأخرى مثل الفلسفة والتّاريخ وعلم الاجتماع وغيرها من الفنون والعلوم.

سعى رواد الرّواية العربية منذ ظهورها لإثراء هذا الجنس الأدبي وجعله موسوعة شاملة تضمّم مختلف الخصائص السّردية والجمالية والفنيّة، وتطرح مضامينها مختلف القضايا، فتزاوج بذلك بين ما هو سردي وما هو اجتماعي، وما هو واقعي، وما هو متخيّل، و ما هو حقيقي، فنجد في بنائها السّردي أحيانا نّصوصا قرآنية وأحاديث نبوية، واقتباسات من الشّعر وإحالات إلى حوادث التاريخ، ضمن تفاعل نصّي يخدم موضوع الرّواية من الناحية الفكرية والفنيّة، بذلك يكون النصّ السّرديّ العربيّ قد دخل عالمَ التجريب والمغامرة، عبر قراءة متأنّية وواعية لمشكلات الإنسان المعاصر.

يعّد التّاريخ من بين الفنون والعلوم التي تضمّنتها الرواية العربية عموما، والجزائرية بصورة خاصة وأحالت إليها منذ نشأتها باعتباره العنصر المرافق للإنسان عبر حياته، فمنه استوحى الرّوائيين قصصهم وأحداث حكاياتهم، فكان التّاريخ المكوّن الرئيسي والأساسي في مختلف الأعمال الأدبية العربية والجزائرية، القديمة والحديثة.

وبما أنّ الرّواية هي ملحمة العصر الحديث؛ وهي المهد الأول للسّرد والتعبير الفني عن أحداث التاريخ، وقع اختيارنا على رواية "شبح الكاليدوني" للرّوائي والباحث الجزائري محمد مفلاح، والتي تعدّ من أهم الرّوايات الجزائرية المعاصرة ذات المرجعية التاريخية، وما زاد اهتمامنا بها كونها رواية جزائرية ذات مستويات متعددة أخلاقية ودينية وتاريخية، فقد خلق الكاتب عالما روائيّا زاوج فيه بين واقعيّة التاريخ وفنيّة المتخيّل ،فاستطاع بذلك أن يكشف عن التاريخ الجزائري المنسيّ والمسكوت عنه، ويخرج بنصّه عن الطّرح التقليدي ليضعنا في مواجهة نمط جديد من الكتابة يتصارع فيه السرد والتاريخ تارة و يلتحمان في ما بينهما تارة أخرى .

رواية "شبح الكاليدوني" التي اخترناها لدراسة وتحليل خصائص وسمات السّرد التاريخي وأشكال المقاومة الثقافية، هي توثيقٌ تاريخي فنّي لأحداث الماضي الكولونيالي في الجزائر من خلال سرد وقائع الثورة التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي، ونقلٌ حثيث ومدروس لحيثيات الحياة الاجتماعية المعاصرة في تواترها الطّبيعي الّذي لا يعتريه التّغيير بسهولة. و هي كشف للسّتار عن الدّفاتر المنسيّة في التاريخ الجزائري من خلال تسليط الضوء لأوّل مرّة على قضيّة المنفيين إلى "كاليدونيا" زمن الاستعمار.

مواضيع وقضايا كثيرة تناولها نصّ الرواية، ارتبطت ارتباطا وثيقًا بعادات وتقاليد وبطولات الغرب الجزائري منذ الاستقلال حتى اليوم، وكانت شاهدة على أفضع جرائم الاحتلال، ولعل نفي المقاومين هو أقسى جريمة نالها شعب همّه الوحيد الذّود بنفسه من اجل الحفاظ على وطنه الحبيب.

اهتمّ **محمد مفلاح** بالربط بين السّرد والتاريخ المغيب والثقافة الجزائرية لينتج نصّا منفتحا على القراءة والتأويل، عمل فيه السّارد على تحويل الصّور الأيقونية للتّاريخ وللنفي لأبطال الجزائر والتّمسك بالهوية والثقافة إلى علامات دالة على مخيال سردي سحري مناسب لإنجاز مدونة تقوم على إحياء المعتقد الشّعبي والحقيقة التاريخية المغيبة في جزائر اليوم .

ومن العوامل التي جعلتنا نختار موضوع دراستنا هذه الموسومة ب **((السّرد التّاريخي وأشكال المقاومة الثّقافية في رواية "شبح الكاليدوني" لمحمد مفلاح))** أيضا:

1- محاولة استثمار آليات مناهج البحث الأدبي ومحاولة تطبيقها على نص مغاربي جزائري بالدرجة الأولى.

2- الوقوف على جماليات توظيف السّرد التاريخي ف النّص الروائي، ومحاولة الكشف عن بعض أشكال المقاومة الثقافية في الرّواية الجزائرية المعاصرة.

وقد انطلقنا في دراستنا هذه من الإشكالية الآتية: إلى أيّ مدى نجح نصّ الرواية في مزاوجته بين المتخّيل والتّاريخي في الكشف عن المسكوت عنه في التاريخ الجزائري ؟ وكيف استثمر الرّوائي محمّد مفلاح قضيّة "المنفيين" في إبراز أشكال المقاومة الثقافية في الجزائر أبان الاستعمار؟ وفيم تتمثّل أهم أشكال المقاومة الثقافية في رواية " شبح الكاليدوني"؟

ومن أجل الإجابة عن هذه التّساؤلات قسّمنا بحثنا هذا إلى مدخل تناولنا فيه سمات وخصائص سرد التّاريخ في الرّواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية وفصلين اثنين كان العمل فيهما نظريا /تطبيقيا في الوقت نفسه، فجاء الفصل الأوّل منهما معنونا ب: قضايا وتجليات السّرد التّاريخي في رواية شبح الكاليدوني "لمحمد مفلاح" قسمناه إلى مبحثين، أما المبحث الأول فقد استعرضنا فيه سرد التاريخ الكولونيالي من خلال تحليل البنية السّردية للرواية وما تضمّنته من دراسة للبناء الزمني التاريخي بالإضافة إلى تحليل بنية الشّخصيات التاريخية الواردة في نصّ الرّواية، وأهم القضايا التي تناولها الرّوائي في نصه، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه خصائص سرد المنفى، واستدعاء الذاكرة التاريخية المهددة بالضياع أين تطرقنا إلى مفهوم المنفى ومفهوم الذاكرة التاريخيّة، ثم تحدثنا عن خصائص سرد المنفى في الرواية ، ومن خلال أشكال الذاكرة تحدثنا عن استدعاء الذاكرة التاريخية في الرواية ثم الوسائل المساعدة في عملية الاستدعاء كونها تفيد موضوع الدّراسة.

أما الفصل الثاني فعنونّاه بـ "أشكال المقاومة الثقافية في رواية شبح الكاليدوني" وقسمناه بدوره إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول منهما دور المقاومة في رفض الاستعمار والحفاظ على الهوية الثقافية، أما المبحث الثاني فركزنا فيه على استخراج أهم أشكال المقاومة الثقافية في الرواية وقد حصرنا ها في: المقاومة من خلال التعليم ، ثم المقاومة من خلال الشعر الشعبي، ثم المقاومة من خلال التّمسك بالعادات والتّقاليد واللّباس وفيه تناولنا الأبعاد الثقافية للرّواية . أمّا الخاتمة فضمّت أهم ما توصّل إليه البحث في جانبه النظري والتّطبيقي.

ومن أجل مناقشة أهم القضايا التي تناولها موضوع بحثنا اعتمدنا على مجموعة من المناهج البحثيّة التي تكاملت لتتناسب مع طبيعة موضوع البحث، ونذكر منها: المنهج البنيوي الذي وظّفناه في الفصل الأول من أجل دراسة بنية الزمن التاريخي وربطها بقضايا السّرد التاريخي، والمنهج التّاريخي الذي ساعدنا في رصد وتحليل بعض الأحداث والشّخصيات التّاريخية في الرّواية. بالإضافة إلى الاستفادة من مقولات النقد الثقافي في الفصل الثاني والذي يعتبر من أكثر المناهج وقوفًا على استكشاف العناصر الثقافية وتوظيفها الظاهر أو المضمر في النّصوص، وقد استعنا به في الكشف عن أشكال المقاومة الثقافية في الرّواية وتحليل حضور المعطيات الثقافية بشكل عام فيها.

وقد كان اعتمادنا في إنجاز هذه الرواية على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها :

1- بول ريكور ، الزّمان والسّرد - الحبكة والسرد التاريخي - ج3، 2006 .

2- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري في الأدب الجزائري، 1991.

3 - محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1980 حتى ثورة نوفمبر 1954 ، 1985.

ولعل أهم الصّعوبات التي واجهتنا في إنجاز بحثنا: قلة الدراسات التي تناولت مسألة المقاومة الثقافية في جانبها التطبيقي، بالإضافة إلى ظروف الوباء والحجر الصّحي التي حالت بيننا وبين الوصول إلى أهم المراجع والمصادر في المكتبات وتحصيل المعرفة منها ، بالإضافة إلى عدم إمكانية التواصل الحضوري بيننا بسبب ظروف الحجر من أجل مناقشة الأفكار وتنسيقها.

وفي الأخير نتقدّم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة **الدكتورة "هجيرة بوسكّين"** نظير جهودها وتوجيهاتها لنا في الجانب المعرفي والمنهجي وقبولها الإشراف على هذا العمل والخروج به إلى عالم النور بعد أن كان مجرّد فكرة . ونحن لا نزعم أننا قد

استوفينا الدراسة حقّها من البحث، فحسبنا أننا فتحنا نافذة للبحث في موضوع نتمنى أن يحظى بالمزيد من البحث مستقبلا وأن تستكمل رحلة البحث فيه.

والله نسأل التّوفيق والسّداد

مدخل

السرد التاريخي في الرواية الجزائرية مابعد الكولونيالية

تحتل الرّواية مكانة كبيرة في السّاحة الأدبية؛ فهي تعد أحد أهم الأجناس الأدبية على مرّ العصور، لها ميزة التّنوع والتّعدد في الأشكال، حيث تسعى دائما للتّطور والارتقاء وهي جنس أدبي قادر على الإفصاح عمّا يكمن في ذهن الكاتب وما يختلج بداخله، كما أنّها وسيلة للتّعبير عمّا في المجتمّع من ظواهر اجتماعية، دينية، ثقافية وسياسية، إنّها تجسيد واضح لما يعيشه الإنسان .

عرفت الرّواية الجزائرية تأخّرا في ظهورها وذلك للظّروف السياسية التي مرّت بها البلاد، ومن هنا فإنّ الحديث عنها لا يكون بمعزل عن الحديث عن الواقع السّياسي والاجتماعي الذي عاشته الجزائر في العصر الحديث. ولأنّ الرّواية انعكاس للظّروف والواقع الثّقافي والاجتماعي الذي ظهرت فيه، مرّت الرّواية الجزائرية إذا بفترتين مختلفتين لكلّ منهما خصائصها التي تميّزها وهما:

فترة الاستعمار التي تميّزت بذلك الصّراع الدّامي بين الأنا الجزائري والآخر الفرنسي، وقد نقلت لنا الرّواية الجزائرية في هذه الفترة صورا مشرّفة عن نضال ومقاومة الأنا الجزائري للآخر الفرنسي، لم تخرج النّصوص الرّوائية في هذه المرحلة عن ثنائية (الصّراع والمقاومة) التي أطّرت مختلف الأحداث التاريخية التي تناولتها هذه الرّوايات، لذلك نجد أحداث الرّوايات الجزائرية التي تناولت الواقع الكولونيالي تتنوع بين مظاهر الصّراع والدّمار والحروب وأشكال المقاومة .

سجّلت الرّواية الجزائرية حضورا قويا للتّاريخ كمرجعية تؤطر الأحداث الرّوائية، فكانت بذلك أكثر الأجناس الأدبية بروزا وانتشارا باعتبارها الوعاء الذي يحتوي القضية الجزائرية بكل معالمها وأبعادها؛ حيث وجد فيها الأديب الجزائري الشّكل الملائم للتّعبير عن قضية شعبه ووطنه وآماله في تحقيق الحرية والاستقلال، فكانت موضوعاتها تتمحور حول حياة الشّعب الجزائري إبان الاحتلال،كما شهدت تلك الفترة ميلاد الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية والتي أسّسها نخبة من المثقّفين والكتّاب الجزائريين الذين أدركوا مبكرا أن

الرّواية المكتوبة باللّغة الفرنسية هي رواية جزائرية وأنّ الفرنسية هي لغة تعبير فرضتها ظروف الاستعمار فقط.

بعد الاستقلال ظهر نوع جديد من الكتابات الرّوائية الجزائرية التي اتّجهت تدريجيا للكتابة باللّغة العربية، وقد ارتبطت كتابات الأدباء الجزائريين في تلك الفترة بقضايا ما بعد الاستعمار، لتؤسّس لما أطلق عليه **الرواية ما بعد الكولونيالية** التي حاولت التّأريخ للثّورة بعد أن استرجعت الجزائر سيادتها بنيلها الاستقلال.

أدخل الرّوائيون الجزائريون الكثير من التّغيرات الحاسمة في مجال السّرد الرّوائي، فكان على الرّوائيين خلق مسافة لتأمل التّاريخ ونقد الذّات وإعادة قراءة الأحداث التّاريخية، وإنتاج نصوص تركز على الأنا الجزائري في شأنها الموضوعي، وتجعل الآخر الفرنسي في دائرة الهامش، بعد أن كان و لزمن طويل محور موضوعات الرّواية الكولونيالية ومركز الحديث فيها، إذ لم تتناول الرّوايات الكولونيالية الأنا الجزائري إلا بشكل هامشي.

ارتبطت الرّوايات الجزائرية ما بعد الكولونيالية بمفهوم الدّراسات ما بعد الكولونيالية وهي<< دراسات أكاديمية صاعدة، ظهرت ملامحها واتّسقت فيما يشبه النّظرية المتكاملة إبان العقدين الأخيرين من القرن العشرين، إذ اتّسع مداها وصارت تغطي بتساؤلها الدّائم عن العلاقة بين القوّة ومعرفة موضوعات مختلفة منها التّاريخ، الغزوات الاستعمارية والنّضال المناهض للاستعمار والتّشكيلات القومية ما بعد الاستعمارية، فضلا عن طرق الهيمنة الثّقافية .>>[1]

أما الرّواية الجزائرية **ما بعد الكولونيالية**، فقد برزت على أيدي نخبة من الرّوائيين الذين حاولوا من خلال أعمالهم الإبداعية أن يشفوا جراح المجتمع الجزائري التي تسبب فيها الاستعمار الفرنسي، حملت هذه التّجارب الرّوائية في طياتها عدة مضامين كالجهل والتخلّف

[1] - لينة عوض ؛ تجربة الطاهر وطار (بين الإديولوجيا وجماليات الرواية)، أمانة عمان الكبرى ، ط1، عمان- الأردن، 2004، ص 07.

والفقّر وقضايا المرأة والقضايا الاجتماعية والعاطفية وقصص الحب المستحيلة وخاصة قضية الدّين [1].

تطرح نظرية **ما بعد الكولونيالية** مجموعة من القضايا الشائكة للدرس والمعالجة والتّفكيك كجدلية الأنا والآخر، ثنائية الشّرق والغرب، علاقة الهامش بالمركز، وعلاقة المستعمر بالشّعوب المستعمرة الضعيفة، وتجليات الخطاب الاستعماري ، ودور الإستشراق في تزكية المركزية الغربية قوة وتفوّقا، والصّراع الفكري والثّقافي المضاد للتّمركز العقلي الغربي لغة وكتابة ومقصدية وقضية .[2] بالإضافة إلى الدّفاع عن الهوية الوطنية والقومية والمقاومة المادية والثّقافية .[3]

عبرت **الرّواية ما بعد الكولونيالية** عن قضايا المجتمع الجزائري ومعاناته إبان الاحتلال وأعادت فتح ذاكرته وإحياءها من أجل إعادة قراءة التّاريخ، ولعل **رواية تيميمون** للروائي الجزائري **رشيد بوجدرة** تعدّ من النّماذج الرّوائية الجزائرية ما بعد الكولونيالية ، بالإضافة إلى ما كتبته **آسيا جبار** باللّغة الفرنسية ، وبعض كتابات **أحلام مستغانمي** مثل رواية **ذاكرة الجسد** التي فتحت فيها نافذة على بعض أحداث الثورة، هذا وقد انتقدت بعض الرّوايات الحركة الاستعمارية وأعادت قراءة تاريخ فرنسا الإجرامي الدّموي الذي لا يتفق مع شعارات الثّورة الفرنسية : الحرية ، العدالة والمساواة . ومن هذه الأعمال الروائية نذكر<< رواية **أبناء القلعة " لزياد قاسم ، ودفاتر الطوفان " لسميحة خريسي** و" **رواية اعترافات كاتم الصوت " لمؤنس الزرار** ورواية " **ما تنتظره الثورة** " لياسمينة خضرا >>[4]

.

الدّراسات الكولونيالية وما بعدها علّلت في نسخها العربية كثيرا من القضايا المرتبطة بواقعية التّاريخ والكتابة التّاريخية ، والمعرفة والسلطة ومظاهر المقاومة المختلفة ضد الآثار

[1] -ن شمناد ، خطاب ما بعد الاستعمار في النقد العربي ، مجلة المعيار ، ع17 ، الجزائر ، جوان 2017، ص136.
[2] -ن شمناد ، خطاب ما بعد الاستعمار في النقد الغربي ، ص 136.
[3] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
[4] - عز الدين مناصرة ، النقد الثقافي المقارن (منظور جدلي تفكيكي) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،ط1، عمان ، الاردن ، 2005م ، ص. 66-99.

الكولونيالية المترسبة في جذور الوعي الجماعي للدّول العربية التي ما فتئت تستوعب قضاياها بعين الحاضر على الماضي واستيعاب الماضي من خلال الحاضر .[1]

من هنا نلاحظ أن معظم النّصوص الرّوائية الجزائرية **ما بعد الكولونيالية** قد لجأت إلى التاريخ واتخذته مرجعية أساسية لبناء عوالمها الرّوائية التي سعت فيها إلى إعادة قراءة وتقييم الواقع الكولونيالي في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وكذا إعادة قراءة الذات والآخر بعيدا عن هيمنة الأخر ومركزيته.

1- مفهوم السّرد التّاريخي :

لعل أهم ما يميز **الكتابة الرّوائية الجزائرية ما بعد الكولونيالية** لجوؤها إلى السّرد التاريخي وهو مفهوم مركب من لفظتين هما السرد والتّاريخ ومن أجل الوصول إلى ماهية هذا النّوع من السرد وأهم خصائصه المميزة له عن باقي أنواع السرد .

يحدّد مفهوم السّرد اصطلاحا بكونه " نسيج الكلام ولكن في صورة حكي ، فلا يمكن أن نطلق على أيّ كلام بأنّه سرد إلاّ إذا توفّرت فيه هذه الخاصية وهي الحكي [2] كما يتمثّل السرد << في نقل الوقائع وتقديمها في قالب لغوي شفهي أو مكتوب من قبل شخصية أو مجموعة من الشخصيات ، ومن أجل توضيح موضوع السرد يجب معرفة الأنماط الكبرى الأساسية للخطاب وهي النمط الوصفي ، النمط الإنشائي ، النمط البرهاني ، النمط السردي >>.[3]

فالسرد إذا إنتاج حكاية وسرد مجموعة من المواقف والأحداث، التي يتعرض لها الإنسان، فهو ملازم له منذ ظهوره، إنه ناتج عن وجود الإنسان على سطح الأرض << فهو

[1]- جويدة غانم، الرؤى النقدية والاستشرافية للكولونيالية وما بعدها بين شكيب أرسلان وإدوارد سعيد ، مجلة تبين، ع 17، الجزائر، دت، ص 168.

[2] ضياء غني لفته، البنية السّردية في شعر الصعاليك، دار حامد ، ط1 ، عمان- الأردن ، 2009 ، ص.115.

[3]- Jeam –Michel –adam , le récit, Edition , P ;U,F , paris 2éme edition ; 1989.p.9.

حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثولة والحكاية والقصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما.>>[1].

2- مفهوم التاريخ :

لم يّكن لكلمة التّاريخ في الماضي معنى واحد فقد دلت عند سقراط على المعرفة [2]، وعند أرسطو على مجرد رْكام من الوثائق مقابل عمل تفسيري .[3]

ويعرفه **ابن خلدون** يقول :<< خبر عن الإجماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال ، مثل التوحش و التأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع و سائرما يحدث في ذلك العمران لطبيعته من الأحوال>> [4]

أمّا **بول ريكور** فيعّرف التاريخ بأنّه << الأفعال الماضية التي سجلّت والتي يكون بمستطاعنا الاستدلال عليها من السجلات والتقارير فكل تاريخ من حيث الأساس سرد للأحداث يلعب فيها الفكر والفعل الإنساني دورا مهيمنا...وحتى عندما نجد التاريخ مع تيارات أو توجيهات أو نزاعات ، فالسرد هو الذي يضفي عليها ....[5]

ومنه نستنتج بأن **السرد التاريخي** هو تركيب لفظي يدل على إعادة بناء أحداث الماضي لغويا، من خلال تحليل مضامينها ومحتوياتها ولا يقتصر على إعادة وصف أحداث الماضي ؛ بل يتعلق بإعادة بناء أحداثه واستخلاص ما يمكن به أن نفيد المستقبل والحاضر

---

[1] - سعيد يقطين ، الكلام والخبر –مقدمة السرد العربي – المركز الثقافي العربي ، دط، بيروت -الدار البيضاء ،دت، ص.19.

[2] - جميل سيليا ، المعجم الفلسفي (باللفاظ العربية ، الفرنسية . الانجليزية) ج2 الشركة العالمية للكتاب (دط) ، لبنان ، 1994، ص.218.

[3] - اندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد 2 ، تر: خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات، ط2، بيروت - باريس 2001، ص.58.

[4] -عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون(المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ، دار الفكر للطباعة والنشر (دط) بيروت - لبنان ، 2004، ص.47.

[5] - بول ريكور ، الزمان والسرد - الحبكة والسرد التاريخي - ج3 ، تر: فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديدة، ط2، بيروت – لبنان 2006م ص.239.

معا وتفكيك شيفرات هذا الحاضر من خلال تفسير مختلف القضايا والمشاكل الآنية ، وربطها بالماضي وأحداثه المهمة في تاريخ الأوطان.

ونظرا لاشتراك الرّواية مع السرد التاريخي في صفة الحكي التي تعد نواة أساسية لكليهما، يلجأ الروائي إلى التاريخ كمرجعية في بناء عوالمه الروائية لمجموعة من الأسباب تكمن في :

1- خلق وعي سياسي واجتماعي للماضي .

2- بعث مجد الماضي وإحياؤه مجددا في الأذهان .

3- استعادة الذات الضائعة باكتشاف معنى الاستمرار في شيء ما أو الانتماء إلى شيء ما قد ضاع إلى الأبد.

4- إعادة قراءة التاريخ بهدف التقصي والإتمام أو التصحيح أو الاختزال. [1]

وبذلك نستنتج بأنّ السرد والتاريخ يلتقيان في جملة من العناصر المشتركة بينهما وبالنظر إلى طبيعة تشكيل المادة التاريخية في حد ذاتها داخل النص الروائي ، فإننا نشهد تقسيما آخر ، إذ هناك روايات تستدعي وقائع وشخصيات تاريخية وأماكن دقيقة مستقلة عن العمل الروائي فيظهر التاريخ فيها عن طريق نصوص تحيل إلى المرجع وتقوي صلتها به، بينما نصوص أخرى تكتفي باستحضار مناخ تاريخي تطّلع في شخصيات لا تاريخية بأعمال متخيلة .[2]

ومن خلال رؤية **"بول ريكور"** للسّرد التاريخي نجد أنّه يشرّك مع السرد الروائي في مجموعة من العناصر والتي تعّد دعائم للسرد وهي : الشخصيات ، الأحداث والحبكة والزمان ، ولابد للروائي أن يراعي في عمله الإبداعي تلك العناصر حتى يندرج نصه ضمن نسق السرد التاريخي، ولعل أهم هذه العناصر وفق **"بول ريكور"** عنصر الزمن >> فالزمن

[1] -نضال الشمالي ، الرواية والتاريخ ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية العربية الحديثة ، عالم الكتب الحديثة ، ط1، عمان -الاردن ، 2006، ص.135. 137.

[2] - بول ريكور ، الزمن والسرد (الحبكة والسرد التاريخي) ، ص.47.

يحدد إلى حد بعيد طبيعة الرواية ويشكّلها، بل إنّ تشكّل البنية الزمنية يرتبط ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن >>[1]. فالروائي حرٌ في اختيار المدة الزمنية التي تلبي له ما أراده من أحداث، أو عدد الشخصيات وحتى الأمكنة وطبيعة تلك الأحداث المختارة.

يتخذ الزمن في السرد التاريخي شكلين رئيسيين << زمن الحقبة القصيرة للحدث ، وزمن الحقبة الطويلة إلى حد ما لأحوال الحضارات وماديتها البعيدة >>[2]. فسواءٌ أغطّت الرواية مدة زمنية طويلة أو مدة قصيرة، نجدها تبين استنادها إلى الوقائع التاريخية القديمة<< فهي تعلن استنادها إلى حوادث ماضية دّونها السابقون ، وبعد أن تعلن استمدادها لوجودها من الدوران حول النصوص الماضية ، يُكثف صلتها بهذه الوقائع >>[3].

والحديث عن فترة زمنية تاريخية محدّدة يستوجب على الروائي أو الكاتب توظيف مجموعة من الشخصيات التي تربط العمل الفني بالأحداث التاريخية لتلك الفترة، ونلاحظ بأنّ الشخصيات في النصوص الروائية التاريخية تنقسم إلى شخصيات واقعية ، وشخصيات متخيلة << والذي وفق في الجمع بين الشخصيات الواقعية والشخصيات المتخيلة وأحلها في إطار واقعي وجعلها تتحرك في ضوء أحداث كبرى اعتبرتها المصادر مفاصل أساسية في مسار الأمم والدول >>[4].

بالإضافة إلى الزمن تعد الشخصيات عنصرا أساسيا في النصوص الروائية ذات المرجعية التاريخية << وبالنظر إلى طبيعة تشكيل المادة التاريخية في حد ذاتها داخل النص الروائي فإننا نشهد تقسيما آخر ، إذ هناك روايات تستدعي وقائع وشخصيات تاريخية وأماكن حقيقية مستقلة عن العمل الروائي، ويظهر التاريخ فيها عن طريق نصوص تحيل إلى

---

[1] - سيزا قاسم ، بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، القاهرة – مصر ، 1984 ، ص.26.

[2] - بول ريكور ، الزمن والسرد ، الحبكة والسرد التاريخي ، ص. 279.

[3] -عبد الله ابراهيم ، المتخيل السردي – مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت – لبنان ، 1990، ص.09.

[4] - محمد القاضي ، الرواية والتاريخ – دراسات في التخييل المرجعي ، دار المعرفة لنشر ، ط1 ، تونس ، 2008، ص.27.

المرجع وتقوي صلتها به ، بينما أخرى تكتفي باستحضار مناخ تاريخي تطلع فيه شخصيات لا تاريخية بأعمال متخيلة >>[1].

يأخذ توظيف الشخصية التاريخية في الروايات التاريخية عدة أشكال ،هي على التوالي :

1- الشخصية التاريخية المفعلة في الحدث

2- الشخصية التاريخية المقصاة عن الحث

3- الشخصية المفترضة في الحدث .[2]

إنّ تخيل التاريخ بشخصياته أو بدونها وصبه في قالب سردي وإعادة بناء أحداثه لأمر ذو مشقة على الروائي، ذلك أن<< الشخصية التاريخية شخصية مرهقة لكاتب الرواية بشكل عام وكاتب الرواية التاريخية بشكل خاص. فالشخصية التاريخية لها ثقلها ولباسها الخاص ، والروائي مجبر على أن ينقلها كما هي ويحملها بصفاتها الحميدة والذميمة مآثرها وأعمالها دون أن يضيف فيها أو ينقص >>[3] ـ فالشخصية التاريخية تفرض بحضورها على العمل طوقا يحد من حرية الكاتب ، لا تحققه إلاّ الشخصيات المتخيلة -[4] .

بناءا على ما سبق نستنتج أن أنسب شخصية يمكن أن يوظفها الروائي في عمله هي الشخصية المتخيّلة فهي شخصية مكمّلة لمشروع وضعه الرّوائي وأراد إتمامه من خلال هذه الشخصيات ، إنّ هذه لا تحدها مرجعية ولا تقيّدها نصوص التاريخ القديمة ، فهي ليست وليدتهم << إنها وليدة نماذج الأفكار وتبلورها على نحو خاص >>[5].

[1] ـ محمد القاضي ، الرواية والتاريخ . ص47.
[2] -نظال الشمالي، الرواية والتاريخ . ص.226 .
[3] - المرجع نفسه ، ص. 226.
[4]- المرجع نفسه ، نفس الصفحة.
[5] - نظال الشمالي ، الرواية والتاريخ ، ص. 233.

ومن أوجه التداخل بين السرد والتاريخ ، نجد الحبكة التي يعرّفها **بول ريكور** بناءً على مفهوم **أرسطو** <<فالحبكة عنده هي ترتيب الأحداث >>[1] .وهي عند **بول ريكور**<<تركيب بين عناصر متنافرة وظيفتها إيجاد قضية واحدة من أحداث متعددة ـ >>[2]

يرتبط التاريخ بالرواية من خلال الحبكة فهو لا يكتسب كينونته إلاّ من خلال طريقته في سرد أحداث ماضيه ، والسرد يعيد تصوير الزمن مرة أخرى رابطا بين حلقاته وسادا لفراغاته ، حيث يستعيد من الحياة مادته ليحولها نصا منسقا متشابكا عن طريق الحبكة ـ حيث يرى **"ريكور"** أنّه ليس هناك سرد من دون حبكة أو عقدة .

ومن خلال ما سبق نستنتج بأنّ الرواية الجزائرية ما بعد الكولونيالية قد سعت إلى الكشف عن ما سكت عنه المؤرخون وأغفلوه ـ فقد وجد كاتب الرّواية في التاريخ الفضاء الواسع ليتحدث عن أهم القضايا التي عرفها المجتمع الجزائري في فترة حرجة من تاريخه في فترة الاستعمار الفرنسي . ولعل توظيفها للسرد التاريخي كان يهدف من خلاله إلى تحليل واقع العلاقة بين الأنا الجزائري والآخر الفرنسي بعيدا عن زيف الصوّر والأحكام المسبقة بالرّجوع إلى وقائع تاريخية أثبتها التاريخ ، شهدت على مأساة إنسانية أعاد الروائي الجزائري كتابتها روائيا من أجل استخلاص العبر وكشف النقاب عن المسكوت عنه في تاريخ الثورة الجزائرية والأحداث التي تلتها فترة الاستقلال وما بعدها.

[1] -بول ريكور ، الزمان والسرد ، الحبكة والسرد التاريخي ، ص.66.
[2] - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الأول

قضايا وتجليات السرد التاريخي في رواية " شبح كاليدوني" لمحمد مفلاح

المبحث الأول: سرد التاريخ الكولونيالي في الرواية من خلال الشخصيات الروائية والزمن الروائي.

المبحث الثاني: سرد المنفى واستدعاء الذاكرة التاريخية المهدّدة بالضياع

ترتبط رواية "شبح الكاليدوني" التي نحن بصدد دراستها ارتباطا وثيقا بالواقع الوطني في بعده التّاريخي، إذ يعدّ نص الرّواية مرآة عاكسة لبعض فئاته المهمّشة التي كابدت المصاعب من جرّاء التّهميش الذي طالها في أرض المنفى طوال سنوات حياتها المرة، فبرغم البطولات التي قدمتها هذه الفئة للوطن إلاّ أنّها لم تجد التقدير الذي تستحقّه، فضاعت وضاع معها تاريخ كامل من النّضال البطولي الذي يشكّل جزءً هامّا من الهويّة والذّاكرة الوطنيّة الجزائريّة، بعد أن تمّ نفيها إلى جزيرة "كاليدونيا" ليطويها النسيان ويعيد أحياء تاريخها **الروائي محمد مفلاح** الذي حاول أن يستعيد من خلال هذه الرواية الوعي التاريخي والثّقافي للأمة من خلال اللّجوء للسّرد التّاريخي واستحضار الذّاكرة التاريخية المهدّدة بالنسيان، وكذا من خلال إبراز أشكال المقاومة الثّقافية للمستعمر الفرنسي في حقبة هامّة من تاريخ الجزائر. فيكيف وظّف الّروائي السّرد التاريخي لإعادة قراءة الحاضر الجزائري؟ وفيم تتمثّل خصوصيّة سرد المنفى وقضاياه في رواية " شبح الكاليدوني"؟ و ما هي أهم الوسائل التي وظّفها الكاتب لاستدعاء الذاكرة التاريخية؟

وقبل أن نتناول أهم ما تضمّنه نص رواية " شبح الكاليدوني" من مضامين فكرية وثقافيّة، يستوقفنا عنوان الرّواية الذي يتطلّب منا تقديم قراءة أولّيه له لارتباطه الوثيق بالقضايا التي تتناولها الرّواية، وباعتباره أيضا العتبة النّصية الأولى التي تسمح لنا بالولوج الصّحيح إلى عالم الرّواية.

*** قراءة في عتبة العنوان:**

يشكل العنوان العتبة النّصية، أو الباب الذي يمكننا من الولوج إلى النص، فلا نستطيع استنطاق النّص دون المرور على العنوان، فهو << وجه النّص مصغرًا على صفحة الغلاف>>[1] فالعنوان يستنطق النص <<ويمدّنا بزاد ثمين لتفكيك النّص و دراسته، وهنا نقول أنه يقدّم لنا معرفة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض علينا>>.[2]

1- رحيم عبد القادر، وظائف العنوان في شعر مصطفى الغماري، مجلة مخبر أبحاث في اللّغة والأدب، ع4 جامعة بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة/ الجزائر، 2008، ص .95.

2- محمد مفتاح، دينامية النص- تنظير وانجاز المركز الثقافي العربي، ط 2،، بيروت- لبنان، 1990، ص.72.

يمثّل العنوان أيضا واجهة إعلامية تأخذ شكل (الجملة المفتاح) وتمارس على القارئ سلطة أدبية وفكرية، << فهو يمثل تلك العتبة النّصية التي يعمل القارئ على افتكاك بنيتها اللّغوية والدلاليّة باعتبارها الجملة المفتاح للنص>>.[1]

من هنا يمكن أن نعتبر أن العنوان هو القائد المسيطر الدّال على النص إذ هو <<كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، ويشار به ويدلّ عليه بجمل واسم كتابته>>[2]، فهو إذن: كالاسم للنّص به يعرف ويشتهر عند كل القرّاء، إنّه البنية اللّغوية الأولى التي تصطدم بالقارئ فتخالطه وتغريه فيحاول من خلالها الدخول إلى العوالم الخفية للنص، واستكشاف حقائقها الفكرية والأدبية.

إنّ العنوان هو فاتحة الخطاب، وعتبته الأولى النّصية، فهو يمثل ملفوظ ما قبل الحكي الأول، وما بعد الحكي الأخير، كونه علامة سيميائية تنفتح على دلالات شتى، وإيحاءات متعددة، تبحر في عالم الفكر والأدب، ولأهميتها وقيمتها يعبر عنها "محمد مفتاح" (بالجملة المفتاح).

يشكّل عنوان هذه الرواية نموذجًا متكاملاً وجريئًا من الأدب الجزائري، الذي يسعى إلى الانفلات من الّتقليد إلى المبهر حتّى يلفت الانتباه، فقد جاء عنوان رّواية "**شبح الكاليدوني**"، مكوّنًا من مقطع واحد تتألّف بنيته من مسند (خبر)، يتمثل في لفظة "شبح" المضاف إلى "الكاليدوني"، أما المسند إليه (المبتدأ) فمحذوف لوضوحه وسهولة تقديره، والتّقدير مثلاً: "هذا شبح الكاليدوني "، فهذا يمثل تناقضًا صارخًا في حدّ ذاته، فلقد جاء اسم نكرة معرف بالإضافة، ينفتح على دلالات متعددة وكثيرة تم التعبير عنها بإشارات لغوية و فكرية دالة عليه.

إنّ علاقة تكوينية العنوان وفق هاتين الكلمتين تشكل تباينًا في دلالاتهما، فمن خلالهما جمع بين متناقضين، أولهما دال معنوي، والثّاني دال تاريخي مادي، إلاّ أن لفظ "الكاليدوني"

3- نور الدين صدوق، البداية في النص الروائي، دار الحوار، ط 1، اللاذقية- سوريا، 1994، ص.36.

4- روبرت شولز، سيمياء النص الشعري، اللّغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء (المغرب)، ، 1993، ص159.

جاء دالاً هنا على الإجرام والنفي على الموت والفناء، وعلى فئة من الناس قد غُيِّبت من تاريخ الوطن برغم كلّ الجراح والآلام التي كابدتها جرّاء بعدها عن الوطن الأم، وبسبب الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري إبان الاستعمار.

يدل لفظ "شبح" على الحياة بعد الموت، والتي تتعارض والنّقيض الثاني وهو "الكاليدوني" وهو جنسية أو دولة أو جزيرة مستحدثة، الذي بدوره جاء دالاً على الحيّز المكاني، والتراث الإنساني التاريخي الجزائري وعلى الحياة التي عاشها الشعب إبان الاحتلال الكولونيالي، فهذان المتناقضان ولّدا دلالة جديدة تكمن في تلك الجريمة المسلطة والمرتكبة ضد الجذور والأصول.

هذا ما جعل عنوان الرواية استفزازيًا بالدّرجة الأولى، وملفتًا للانتباه، إنّه يعمل على إغواء القارئ الذي يوّد أن يعرف هل للأشباح المنفية لجزيرة كاليدونيا تاريخ في تاريخنا الحديث المكتوب أم ماذا أراد الروائي بهذا العنوان؟ وفي هذا التّساؤل دعوة لمعرفة محتوى النص الروائي واكتشاف مضامينه الفكرية والأدبية والتاريخية التي تؤهّله لتلقٍّ إيجابي، وجمالي لدلالة هذا العنوان، ليصبح واضحا بالنّسبة لنص الرواية بعد أن كان غامضًا نوعًا ما.

يظهر العنوان قبل فكّ شفراته غامضا ممتنعا عن القارئ، لكنه في متن النّص يفك رموزه ويحلّ ألغازه، فالاسم الأول منه جاء نكرة ممّا استدعى تعريفه باسم ثان معرَّف يضمن انسجامه اللّغوي والدلالي ويمكن لنا أن نشرح بعض الدلالات السّلبية التي توحي إليها لفظة شبح وهي (الموت ، القتل ، الخوف ، الحرب ، الظلام ، الرّعب ،الدّمار ،الأطياف)، أمّا الدلالات الخاصة بلفظة كاليدوني، فينبغي الإشارة أنّ اللفظة مشتقة من كلمة "كاليدونيا" وهي اسم جزيرة تابعة لفرنسا تقع في جنوب غرب المحيط الهادئ وقد استعملها الاستعمار الفرنسي لسجن الجزائريين الذّين ثاروا ضده (النفي، الاستعمار ،العقاب ، الظلم).

من هنا، فإنّ خطاب العنوان **"شبح الكاليدوني"** يمثل البلاغة في الجمع بين شيء مستقر ثابت ظاهر ملموس محسوس معروف معالمه "كاليدونيا"، وآخر معنوي غير ثابت وغير مستقر "شبح".

وما نستخلصه في الأخير أنّ عنوان هذه الرّواية، وكذلك الغلاف الخارجي لها قد حقّقا انسجامًا كبيرًا مع مضمون الرّواية، ما يعني أنّ المؤلف قد وفّق في اختيار العنوان، لأنه قد اختصر اختصارا لفظيا محتوى الرّواية، فالعنوان المرفق بتلك الصّورة التّشكيلية يمثلان شفرة وضعها الكاتب ليحمل القارئ هذه الشفرة إثناء قراءته للرّواية، وبذلك يصل في الأخير إلى الرّبط بين عنوان الرّواية، ومضمونها والشّعور بذلك التّرابط الدّلالي المتين بين الاثنين إلى درجة اعتبار أنّ كل منهما يكمل الثّاني و يعبر عنه أفضل تعبير.

المبحث الأول : سرد التّاريخ الكولونيالي في الرّواية من خلال الشّخصيات الروائية والزمن الرّوائي:

يمثل عنصرا الزّمان والشّخصيات، أهم ركيزتين يستند إليهما الرّوائي في عملية بناء أحداث روايته. وسنحاول في هذا المبحث، دراسة واستخراج أهم قضايا السّرد التّاريخي التي تطرق إليها الروائي "**محمد مفلاح** " في روايته "**شبح الكاليدوني**" ، انطلاقا من **سرد التاريخ الكولونيالي** من خلال عنصري الشّخصيات والزّمن اللّذين وظفهما. وذلك من خلال إبراز الملامح والأبعاد التاريخية لهما، وتوضيح الأدوار التي تقمصتها هذه الشخصيات، كما سنحاول أيضا تحليل أهم القضايا والوقائع التّاريخية التي وظفها الرّوائي.

1- الشّخصيات:

يرتبط النّص السردي في عملية استحضار التّاريخ في متونه وأحداثه وزمانه ارتباطا وثيقا بالشّخصيات التي قامت بأحداثه البطولية والتي بها يسترجع الروائي الزمن الماضي وأحداثه، وقد نالت الشّخصيات عبر مرّ العصور ومختلف الحضارات اهتماما كبيرا من قبل الدّارسين والّنقاد، كل انطلق يعرفها بمفهومه؛ إذ تعتبر من >> أكثر العناصر الفاعلة في بناء الرّواية كونها العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر الشّكلية الأخرى<<[1] وقد قسمنا الشّخصيات الموظّفة في الرّواية إلى ثلاث أقسام وهي:

[1]- حميد عبد الوهاب البدراني، الشخصية الإشكالية (مقاربة سوسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1، عمان- الأردن 2013 -2014 .ص.7.

1-1- الشّخصيات التّاريخية الموثّقة غير الفاعلة:

وهي شخصيات تاريخية لها وجودها الفعلي في التّاريخ، متوافق عليها لكنّها غير فاعلة في الحدث الرّوائي، وهي شخصيات رمزية موضوعية، لا تقوم بصناعة الأحداث<< إنّها شخصيّات تاريخية لها وجودها المستقل خارج النص الرّوائي لكنها توظف بشكل غير مباشر، أي أنها تستدعي من التاريخ لا لتحظى بدور في صناعة الحدث بل ليكون توظيفها في العمل محصورا بمساحة نصية معينة ، ووظيفة معينة >>[1]. وهذا ما يتطلبه السرد هنا فقد ينقلب الأمر برمته << فمن كان في التاريخ بطلاً / شخصية تاريخية لامعة قد يغدو في الرواية شخصًا ثانويا مهمشًا والعكس يصدق على ذلك>>[2]ومن بين الشخصيات التي وظفها **"محمد مفلاح** "نجد:

أ- **الشّيخ المقراني:** وهو واحد من الشخصيات الرّوائية غير الفاعلة في الرواية، وقد وردت هذه الشخصية في عدة مواضع من العمل الروائي: << نفي أثناء ثورة المقراني سنة 1871>>[3]فهو أحد أهم قادة المقاومات الشعبية في الجزائر وهو الشيخ المقراني بومرزاق البوازيدي قائد ثورة قلعة بني عباس و مجاورها من بلاد القبائل ، وامتدت ثورته إلى الجنوب حتى الحضنة والزيبان ، حيث مواطن قبيلته الأصلية>> [4].

ب- **الأمير عبد القادر *:** وهو من الشخصيات التاريخية التي وردّ ذكرها في أثر من موضع في الرّواية ، وقد خاض **الأمير عبد القادر** مقاومة بالغرب الجزائري **(1830-1847)** وتعتبر مقاومته من أبرز المقاومات الشعبية وأشهرها، وقد ورد في رواية شبح الكاليدوني ذكرٌ هذه الشخصية والإشارة إليها، وبواسطتها استحضر الرّوائي تاريخ الثورة

---

[1]-نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، مرجع سابق، ص.230.

[2]-جورج لوكاتش، الرّواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، دار الطليعة ، ط1. بيروت- لبنان ، 1978 ، ص32- 33.

[3]-محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، دار المنتهى، ط1.الجزائر، 2015. ص .15.

[4] - عبد القادر الرياحي ، ثورة العامري سنوات 74و75ومقاومته قبائل البوزايدي الأشراف بالزاب الغربي ببسكرة للاحتلال الفرنسي للجزائر ومحاولته التوسع نحو الجنوب، من موقع // WWW.FACE BOOK.COM .07.02. 2020 أخذ يوم 10. 02 .2020. 7.50د

*هو:الأمير **عبد القادر بن محي الدين** ، ولد في شهر ماي 1807، وهو الابن الرابع لأبيه ، بقرية القيطنة بمنطقة أغريس ، في إقليم وهران بالجزائر ، وهو أبو المقاومة الشعبية بالجزائر ، توفي في 24 ماي 1883 بدمشق ، له مسيرة حافلة بالكفاح بالسلاح والقلم ، من مؤلفاته : مواقف وله ديوان شعري ...

الجزائرية في روايته : <<وألقى الحاج عبد القوي نظرة عميقة على صورة الأمير عبد القادر المثبتة في الجدار ، قرب جهاز التلفاز>>[1]. والإشارة لهذه الشخصية في الرواية تزيد في النفس الجزائرية الافتخار والهيبة، وبها يدرك الجيل الصاعد كمية المعاناة والحروب التي قادها الشعب في سبيل نيل الحرية، وكأن **محمد مفلاح** بهذا المقطع يقول بأنه في كل بيت جزائري لابد من توفر صور للقادة الجزائريين المناضلين.

ت- سدي لزرق بلحاج : وتعتبر هذه الشّخصية من أبرز الشخصيات المتداولة في الرواية والتي جاء ذكرّها لتكون علامة استفهام واضحة فيها ولكي تدعوا القارئ إلى البحث عنها، كما أنه يعرف باسم "بوحمامة"، وقد قاد ثورة شعبية بالغرب الجزائري سنة 1864 بفليتة. << جزيرة كاليدونيا الجديدة التي نفي إليها الشيخ "امحمد" المنفي ومجاهدو ثورة سيدي لزرق بالحاج المندلعة سنة 1884>>[2] و ثورة سيدي لزرق بالحج والذي استشهد في عرش أولاد "سيدي يحي" [(3)].

إضافة إلى هؤلاء الأعلام قد وظّف الروائي مجموعة من الشخصيات التاريخية التي بها ليعود بالقارئ إلى ذلك الزمن وليفتح نافذة على أهم القضايا والأحداث التي تغافل عنها الجميع، ومن بين هذه القضايا والأحداث نجد :

زيارة **نابليون الثالث** إلى مدينة **غيليزان** والانتفاضة التي قام بها الشعب، ومن ثم فراره في زيّ أحد السّاسة << كما أخبره بأنه كان يملك وثيقة عن المظاهرة الشعبية التي نظمتها القبائل الثائرة أثناء زيارة نابليون الثالث لمدينة غيليزان >>[4]. وظف الرّوائي التاريخ (اليوم والشهر والسنة)، ليحافظ على مصداقية المرجعية التاريخية التي استند إليها الكاتب في بناء نصّه الروائي << قرأ في قصاصة من جريدة المبشر الفرنسية أن الإمبراطور نابليون

[1] -محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني . ص35.

[2] - المصدر نفسه، ص. 21.

[3] - المصدر نفسه، ص 36 .

[4] - المصدر نفسه ، ص 56.

الثالث وصل مدينة غيلزان يوم 21 جوان 1865 صباحا وغادرها إلى مستغانم على السادسة مساءا من اليوم نفسه ، ولم تسمح له المظاهرة الشعبية العارمة بتدشين السد المبني >> [1].

وقد نقل هاته الشخصية بكل إيجابياتها وسلبياتها، نقلها كما وردت في التاريخ بعد الاستعانة بالتّوثيق فقال >> ولم يخف سخطه ومخاوفه من مرافقيه المارشال ماكهوم والجنرال فلوري والجنرال دوليني والعقيد لابسي ولامهم على التستر عن مطالب الجزائريين بإطلاق سراح المنفيين<< [2] وقام الروائي في كل ذلك بسرد الجرائم والطرق الشنيعة التي قام بها جيش فرنسا من أجل مجابهة الشعب الجزائري . فذكر لنا عدد من المسميات لجنرالات قد انتهكوا حقوق الإنسانية منهم :

الجنرال "بليسيه" : وهو أحد السفاحين الفرنسيين، وقد ورد ذكره في الرواية باسم "بليسيه" تارة وباسم "بليس" تارة أخرى >> حدثته أيضا عن السيدة حليمة الرياحية ووالدة جده تواتي ، وعن جرائم بليسيه التي ارتكبها في حق أولاد رياح وكان سي الخطاب والد السيد حليمة الرياحية ، ضمن ضحايا محرقة البشعة >>[3]، و<< كان لالة نبية الفليتية تحقد أشد الحقد على هذا السفاح الحقير الذي يدعى بليس .ولم تنس جرائمه المرعبة >>. [4]

بالإضافة إلى **شخصية "بيجو"** ، وشخصية **الكولونيل لابسي والأمير لامسكوا** وهؤلاء الثلاثة يمثلون الجرائم الشنيعة التي ارتكبها الاحتلال الفرنسي في الشعب << متى يحكام السفاح بوجو وتلاميذه المجرمون ؟ " كافينياك " الجمهوري الذي أحرق قبيلة سبيح سنة1844، والكولونيل "بليسيه "الدموي الذي أصبح مريشيلا ، و"سانت أرنو" السفاح الذي ارتكب محرقة عين أمران بعد أيام من جريمة الظهرة ؟>> [5]

---

[1] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 78.

[2] - المصدر نفسه، ص78-79 .

[3] - المصدر نفسه ، ص58.

[4] - المصدر نفسه، ص58.

[5] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص.88.

ب- الشّخصيات المتخيلة المفعِّلة للحدث :

وهي شخصيات لا وجود لها في الواقع ولا في التّاريخ ، فهي شخصية من ابتكار وصنع خيال الكاتب، وظفها لكي تقوم ببعض الوظائف التاريخية.

تزاوج الرواية التاريخية <<عادة بين الشخصيات التاريخية والشخصيات المتخيلة، إلا أن الأمر لا يقف عند هذه الحدود، وإنما يتجاوزها إلى ظاهرة أخرى في إسناد أعمال لا تاريخية، إلى شخصيات تاريخية ، وأعمال تاريخية إلى شخصيات متخيلة ، ومن ثم فإن الشخصية في الرواية التاريخية محل يتقاطع فيه التاريخي والروائي معا>> [1].

وبذلك تكون هذه الشخصيات أكثر فاعلية في السرد التاريخي مقارنة ببقية الشخوص ويمكن أن نقول بأنها تفوقت عليها لأنها لا تتقيد بمرجعية تاريخية ولا يحدها إطار تاريخي ومن أمثلة هذه الشخصيات الموظفة في الرواية نجد :

أ- **"أحمد شعبان"**: وهي الشخصية المحورية في الرواية ، إذ يقوم الروائي (السارد) بتتبع أحداث يومياته، وهو عامل بقطاع الثقافة، كما أنه يتخبط في جملة من المشاكل (الاجتماعية تؤرقه ، ومجموعة من الصراعات تزاوجت بين التاريخية والنفسية) .<< لم يستطع احمد شعبان النوم فتقلب في فراشه ثم مدّ يمناه إلى المجلة التي استعارها من عاشور الزكري وشرع في قراءة ما كتب عن المحرقة ...>> [2] و<<اكتشف احمد شعبان أن الدوار غيّر اسمه...تعرّف احمد شعبان على عالم جديد .>> [3]

من خلال هذه الشخصية قدّم لنا **محمد مفلاح** أهم القضايا التي تناولتها الرواية وأبرزها **قضية المنفيين زمن الاستعمار الفرنسي إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة وكورسيكا وكورتي ،** << إنّه يحب أن يكتشف كل العوالم الساحرة التي كان يحلم بها في طفولته وبخاصة جزيرة

[1] - صافية سلامي ، رؤية التاريخ في رواية شعلة المايدة ل: محمد مفلاح ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، اشراف الأستاذة: صفية علية ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2014-2013. ص71.

[2] -شبح الكاليدوني ، ص87..

[3] - المصدر نفسه، ص97.

كاليدونيا الجديدة التي نفي إليها الشيخ أمحمد المنفي ، ومجاهدو ثورة سيدي لزرق بلحاج المندلعة سنة 1864م.>>[1].

فالرواية جاءت أحداثها عبارة عن بحث البطل عن قبر جده المنفي، وبواسطة شخصية الجد المنفي خضنا تجربة جديدة من تجارب السّرد من خلاله تطرق الروائي إلى قضية الجرائم التي ارتكبها فرنسا ، كما نلحظ إشارات وذكر للمشاريع الإغرائية التي قامت بها **فرنسا** لتهدئة الوضع العام .

كما أن الرّوائي لم يغفل قضية **العشرية السوداء**، ولا حتى قضية **الربيع العربي**.

ب- **الحاج "عبد القوي":** وهو يمثل أب السارد "أمحمد شعبان" وقد كان له دور مهم في سرد بعض الأحداث التاريخية والكشف عن قضية هامة، **وهي قضية المنفيين** من خلال دفع ابنه نحو البحث عن تاريخ المنفيين المجهول لدى الكثيرين في جيلنا الحالي <<اقرأ قصيدة الشيخ بلوهراني وستعرف الحقائق التي يجهلها جيلك >>[2]، أو من خلال روايته لبعض الحقائق لابنه مثل: <<الحاج عبد القوي روى لولده امحمد شعبان ، موظف ديوان الثقافة قصة عمارات ديار الورد التي أقيمت على أرض بها حفر كانت تحمي فيها العجائز الفقيرات الأواني المنزلية الفخارية لبيعها في ساحة "المارشي نوار" (السوق السوداء)>>[3]. والحاج "عبد القوي" كان يشغل في الماضي منصب معلم للأطفال بأحد الكتاتيب ثم ما لبث أن غيّر مهنته وأصبح بائع ساعات، وهو شيخ كبير طاعن في السن، وظّف الروائي هذه الشّخصية ليروي على لسانها جزءً صغيرا من التاريخ المغيّب <<انتظر قليلا وستتعرف على أسرار هذا اللقب المجيد إنّه لجدّي الذي نفي إلى كاليدونيا الجديدة ، وهل سمعت بهذه الجزيرة ؟ لا أعتقد وزارة التعليم لن تدرسكم عنها >>[4]، وفي مقطع آخر <<كان أجدادنا ملوكا أقوياء مهابين

[1]- المصدر نفسه . ص21.

[2] - المصدر نفسه، ص 29.

[3] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 12 .

[4] - المصدر نفسه ، ص 13.

في الونشريس والشلف ومينه ، أما جدي المنفي فكان عالما ومدرسا شهيرا...إلى كاليدونيا وكورسيكا الجديدة>>[1].

ت- **لالة "نبية الفليتية" :** وهي جدّة "امحمد شعبان" ، هذه الشخصية التي كانت محمّلة بكل آلام الماضي وتاريخه ، تفاعلت في النص الذي بين يدينا ، فعلى الرغم من كبر سنها إلاّ أنها ظلت محافظة على ذاكرتها سليمة، فكانت العنصر الذي ساهم في فهم بعض الأحداث من خلال رواياتها عن الجد المنفي وبطولاته، ومن خلال استذكارها للتاريخ الإجرامي لفرنسا << ومعّ جدّته لالة نبية الفليتية التي تعلم منها جزءً مهما من تاريخ الشيخ محمد المنفي >> [2]<<كانت تحدثه عن جراح الماضي وبخاصة عن الشيخ امحمد المنفي وكأنه حي يرزق ، لم تكن مجالسته إلا مع جدته وصديقه المغتال >>[3]

لذلك استدعت شخصية الجدة الماضي من خلال الحكايات التي كانت ترويها لحفيدها ومنها تعبيره عن حبه لها << كم كانت جدته رائعة ! في طفولته كانت تروي له الحكايات العجيبة عن الغول ولونجة بنت السلطان و حديدوان ، وبقرة اليتامى ، والذئب الخبيث ، وحدثته أيضا عن الحاج عبد القادر بن محي الدين ، وسيدي لزرق بلحاج الذي استشهد في عرش أولاد سيدي يحى ، وعن رفيقه سيدي امحمد المنفي >>[4].

<<وذكرت له جدّته أن الشيخ تواتي كان عالما جليلا من خريجي مدرسة مازونة ...وذكرت له أن الشيخ تواتي توفي أثناء الحرب العالمية الثانية ، عام دخول المريكان مدينة غيليزان >>4[5] وكما أنها << ظلت تروي له بطولات قبيلتها ومقاومتها مع الحاج عبد القادر بن محي الدين وخليفته سيدي بن عبد الله بن فاطمة ، ومع الشيخ بومعزة الخويدمي ، وخليفته الشيخ

---

[1] - المصدر نفسه ، .ص 32.

[2] - المصدر نفسه ، ص13 .

[3] - المصدر نفسه ، ص 20.

[4] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 36.

[5] - المصدر نفسه ، ص، 58.

بصافي ، وحديثه عن المعاناة التي عاشتها قبيلة فليتة بعد استشهاد سيدي لزرق بلحاج ونفي رجال المقاومة >>[1].

<<وعن جرائم بليسيه التي ارتكبها في حق أولاد رياح ...كانت لالة نبية الفليتية تحقد أشد الحقد على هذا السفاح الحقير ... أما كلامها الحزين عن المحرقة مغارة لغوال قرب الجبل الأخضر ... أحرق الزوجين مع ألف رجل ولم ينج أي شخص من أولاد رياح حتى الحيوانات الليفة لم يرحمها ، بليس المجرم نفقت في المغارة يا امحمد >>[2].وكانت دائما ما تبث في نفسه الحيرة ، والتساؤل حول قضية هؤلاء الذين ماتوا محروقين بنيران العدو << ازداد امحمد شعبان حيرة تملكته حالة من الحزن الممزوج بالسخط ، لم تسكت لالة نبية الفليتية عن تلك الجرائم ...بليس الذي ارتكب جريمة بشعة في النقمارية >>[3] وبذلك فتح الروائي عيني القارئ على هذه الجرائم والتي تستر عليها السفاح بوجو ورجاله في كل من العوفية وأولاد رياح وسبيح وفليتة ومطماطة ، وبني وراغ والظهرة . وقد دعم قوله وتمسكه بجدته من خلال مرثاتها:

ياربي سألُوا على لزرق بلحاج*** ياربي سالو على رفيق الحجاجْ .
ياربي سالوا على لزرق بلحاج*** على لَحْمَرْ يغْناجْ فايَتْ لغيلزان.[4]

إضافة إلى هذه الشخصيات هنالك عدة أسماء ورد ذكرها في الرواية وقد عبرت سواء عن فترة زمنية تاريخية مهمة أم على حدث هام مثل شخصية : "عبد الحليم الوقادي"

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 58.

[2] - المصدر نفسه ، ص 58، 59.

[3] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 60..

[4] - المصدر نفسه ، ص. 101.
* عبد الحليم الوقادي : وهو شخصية متخيلة جاء ذكرها في متن الرواية على أنها شخصية مثقفة تم اغتيالها في فترة العشرية السوداء ، على يد الارهابيين.
* فاروق البايلك : وهو يمثل خال امحمد شعبان ، وهو شخصية متخيلة تمثل خال امحمد شعبان ، به تمت الاحالة إلى قضية التواجد العثملني بالاراضي الجزارية .
* غنام ولد اللبة : وهو شخصية متخيلة تحمل الجنسية الليبية ، قام بالهرب من جحيم ليبيا بعد مقت القذافي ، وبه تمت الاحالة الى قضية الربيع العربي وما سببه من خراب وتشريد وضياع للأوطان .

التي أعادنا بها الروائي الى فترة العشرية السوداء ووضح لنا بأن المثقف حينها كان مهددا في كل وقت بالموت . وشخصية فاروق البايلك * . وشخصية غنام ولد اللبة .*

نستنتج في الأخير أن الروائي **محمد مفلاح** قد بنى نصّ روايته على مجموعة من الشخصيات، منها ما كان ذا مرجعية تاريخية حقيقية مفعِّلة للحدث الروائي، ومنها ما كان متخيّلا ، ليسرد لنا تاريخا قد غيِّب عن الجيل الحاضر، ليعيد الكاتب بناءَه من خلال الانطلاق من شخصياته التاريخيّة وإعادة إحيائها في الحاضر سواء كلفظ أو كإشارة وإيحاء، و قد جعلنا نتساءل طوال قراءتنا لهذه الرواية: لماذا وظف هاته الشّخصيات؟، وكيف يستدعي التاريخ من خلالها ؟ وماهي أهم القضايا التاريخية التي جاءت على لسان هذه الشخصيات؟.

2- الزمن الرّوائي في السرد التاريخي وتوظيفه في الرواية :

يعتبر الزمن ركيزة أساسية في العمل السردي فهو << لم يكن يشكل قضية صعبة في الرواية الكلاسيكية ولكنه في الرواية الحديثة أصبح مشكلة عويصة ،لأنه لم يكن إلاّ توقيفا للأحداث ، فأصبح عنصرا معقدا وشريانا حقيقيا من شرايين الرواية >>[1] وبذلك يصبح عنصرا ضرويا في السرد << فمن المعتذر أن نعثر على سرد خال من الزمن وإذا جاز لنا افترضنا أن نفكر في الزمن خال من السرد ، فلا يمكن أن يلغى الزمن من السرد>>[2].

وكما تتحدد الجماعة البشرية بزمنها الحاضر، تتحدد أيضا وبالقوّة نفسها بالزمن الماضي والزمن الآتي، وكذا لا يمكن أن نتصور أمة بدون حاضر، ولا يمكن الحديث عن شعب بدون ماض أو مستقبل، ونحظ بأن السرد والزمن يرتبطان ارتباطا وثيقا، وبما أن السرد وثيق الصلة بالزمن، فكذلك السرد التاريخي يرتبط بالزمن وبهذا المفهوم يصبح الزمن

[1] - مصطفى التواتي ، دراسة في روايات نجيب محفوظ (اللص والكلاب ، الطريق ، شحاذة) ، الدار التونسية للنشر، ط1 ،تونس، 1986. ص107..

[2] - حسن البحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، المركز الثقافي العربي، ط2 ، الدار البيضاء – المغرب، 2009، ص177.

جوهر السرد التاريخي، و<< حينما يرتبط بالتجربة البشرية ، وحينما يتحول إلى ذاكرة لشعب من الشعوب ،أي في النهاية حينما يصير تاريخيا وتراثا >>[1].

ويحيلنا الزمن إلى الماضي والحاضر المستقبل ، وبدوره التاريخ يمثل جميع الأحداث التي وقعت في الماضي ، أي أن"**الزمن التاريخي**" يقوم على استرجاع الأحداث ويقصد به << التتابع الزمني الذي يحكم العلاقة بين السابق واللاحق، سياق حركة الأحداث و تمثلات حراكها الزمني، وهو في كل الأحوال أسهل أنواع الزمن قابلية للسّيطرة>>[2].

ومن خلال الزمن التاريخي يستمد الروائي الأحداث والتواريخ والشخصيات التي تتلاءم مع عمله الإبداعي << فالرواية في استعانتها بالمادة التاريخية تريد بناء الحاضر، وبعث الماضي لإحيائه بتقنيات حديثة، ومعاصرة فيها من الإثارة والجمال ما يسمح بتلقي الزمن التاريخي ، ووقائعه بأسلوب فني >>[3].

وقد تحاول الرواية في اعتمادها على السرد التاريخي بعنصره الزمني أو ما يصطلح عليه بالزمن التاريخي معالجة القضايا الراهنة من خلال الاستفادة من التجربة الإنسانية الماضوية، كما قد تسعى الرواية إلى كشف المستور والمسكوت عنه بالاستناد إلى المرجعية التاريخية.

وبالعودة إلى نص رواية **"شبح الكاليدوني "** نلاحظ بأن **"محمد مفلاح"** قد تطرق إلى الزمن الماضي فأتى بذكر فترة من فترات التاريخ الجزائري ، زمن الاحتلال الفرنسي وتحدث عن أهم وأبرز القضايا التي تقبع داخل الرفوف بعيدا عن النظر العام وهي قضية المنفى، أو قضية الثوار المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة.

---

[1] - مصطفى المسعودي، من نحن في زمن التحولات الكبرى؟ سؤال الهوية الحضارية :السياق المغربي نموذجا ، دار ناشري للنشر الالكتروني، (د،ط) ، أكتوبر 2012. من موقع: WWW. Nashiri. Net

[2] - جمال ناجي، الرواية والزمن وفوضى ترويج الرداءة ، جريدة القدس العربية ، يومية سياسية مستقلة ، 27 أكتوبر 2014. من موقع: http://www.alquds.com

[3] - زرغب صبيحة عودة، غسان كنفاني، جمليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجلاوي، (دط)، عمان -الأردن ، 2006، ص64.

كما أنّه قد ألقى الضوء على الثورات الشعبية التي كانت بمنطقة الغرب الجزائري ،إنّ رواية **"شبح الكاليدوني"** لم تتبع زمنا واحدا لتسرد فيه أحداثها، بل نلحظ فيها بأنّ الروائي **محمد مفلاح** قد اعتمد على ثلاث فترات مهمة من تاريخ الجزائر، فكان ينتقل فيها بكل حرية (فترة الاستعمار، فترة العشرية السوداء، والفترة الحالية فترة الربيع العربي)

وقد جاءت أحداث الرواية مقترنة في بعض الأحيان بتواريخ رسمية محدّدة وأحيانا بإشارات لفظية دالة على الفترة الزمنية، فالزمن في هذه الرواية هو عبارة عن خيوط ممزقة أو خيوط مطروحة في طريق غير دالة ولا نافعة، ولا تحمل أي معنى من معاني الحياة، فبقدر ما هي متراكبة، بقدر ما هي غير مجدية وإنما الحدث السردي ، الفعل السردي الأحدوثة المروية أو المحكية هي التي تبعث فيها الحياة.[1]

ومنه فإن الزمن التاريخي وهو ذلك الزّمن الذي << تتمحور بداخله أحداث الرواية ، فهو عموما حامل التجربة الإنسانية المصاغة في الخطاب الروائي>>[2].ويمكن أن نستخلص أهم القضايا الزمنية التاريخية الموظفة في رواية **"شبح الكاليدوني"**على الشّكل الآتي :

1- **قضية الثورات الشّعبية بالغرب الجزائري**: هي من بين القضايا التي دعت الرواية للالتفات إليها وتسجيل أعلامها وقادتها، ومثال ذلك ثورة **"سيدي لزرق بالحاج"** والتغني بجبال **الونشريس وجبال الأوراس** التي خاض فيها العديد من الثوار حربهم ضد المستعمر .

2- **قضية الجرائم البشعة المرتكبة في حق الشعب الجزائري :** لقد أثار الروائي **محمد مفلاح** في روايته هاته قضية المحارق والجرائم التي ارتكبها المستعمر في حق الشعب ودعا للعودة إلى الذاكرة الحية التي لازالت تحفظ أسماء شهداء هذه المحارق وتسجيلهم ضمن قائمة الشهداء، والّتنديد بما قامت به فرنسا في حق الشعب ودعوتها للاعتراف بهذه الجرائم، ونلمس ذلك في المقطع السردي الآتي: << اهتم امحمد شعبان بقراءة ملاحظات كاتب المقال

---

[1] - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، (بحث في تقنيات السرد) ص. 177-178.

[2] - الشريف حبيلة ، بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني) ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، الاردن ، 2010. ص50.

(أرى أن الأمير لامسكوا أشار إلى محرقة أولاد رياح دفاعا عن الجيش الفرنسي ولم يذكر شيئا عن الاحتلال باعتباره جريمة ضد الإنسانية ، وما قام به بليسيه هو تنفيذ لأوامر رسالة السفاح بيجو المؤرخة في 11جوان والتي حث فيها الكولونيل بليسيه على قتل سكان الظهرة فقال له :" إذ انسحب هؤلاء الأوغاد إلى مغاراتهم فافعلوا بهم مثلما فعل "**كافيياك** " من قبل : اخنقوهم بالدخان الكثيف مثل الثعالب >>[1].

من خلال هذا المقطع السردي يتضح لنا بأن الروائي **محمد مفلاح** قد استمد قضاياه في روايته هذه من الوثائق والمقالات التي كانت منشورة منذ عقد من الزمن ودعا إلى محاسبة مجرمي الحرب ومحاسبتهم ومحاكمتهم ورد الاعتبار إلى هؤلاء الشهداء، واعترف بوجود الملفات والوثائق الشاهدة عن هذه المحرقة والتي هي موثقة بجريدة أو المجلة الأفريقية رقم51.<< وكيف يسكت العالم كله عن هذه الجرائم الشنيعة؟ متى يحاكم السفاح بوجو وتلاميذه المجرمون ؟>>[2]

3- قضية العشرية السوداء: لم يكشف **محمد مفلاح** عن تاريخ دقيق لهذا الزمن التعيس، وراح <<يذكرنا بجزائر العشرية السوداء، وسنوات الدم والنار والتطرف والاغتيال >>[3] الذي كان زمن شرارتها الملتهبة في 1990م تقريبا ، والتي دامت حوالي عشر سنوات ، أين زهقت الأرواح وانتهكت الحرمات ودمّرت المساجد والمنازل والمدارس ، لقد استعرض الكاتب الحجم الكارثي الذي خلفته العشرية السوداء قائلا على لسان أحدى ضحايا هذه الفترة ، حيث حاول الكاتب جاهدا أن يضعنا في صورة تلك الفترة .<<كان ذلك في خريف 2002م وكانت البلاد وقتذاك قد خرجت من دوامة العنف الدموي>>[4]

كما أنه ركز على الفئة المثقفة المغتالة في هذه الفترة بذات من اجل إسكاتهم وردعهم عن إبداء رأيهم << تذكر مرة أخرى عبد الحليم الوقادي المقتول في العشرية السوداء...لم

---

[1] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 87، 88.

[2] - المصدر نفسه ، ص. 88.

[3] - وليد بوعديلة ، الرواية بين الذاكرة والراهن ؛ رواية شبح الكاليدوني والنفي الاستعماري للجزائريين ، جريدة الحوار ، العدد 3478، الاحد 19 أوت 2018م الموافق ل 08 ذو الحجة 1439 هـ .ص. 14.

[4] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني، ص 18.

ينس اللحظة المؤلمة التي حضر فيها جنازته بالرغم من أجواء الرعب السائدة وقتذاك في المدينة الجريحة بأخبار متفرقة ، ورؤوس مقطوعة معلقة على أعمدة ، وجثث في وادي مينة ، وتفجيرات مرعبة ، وملاحقة الإرهابيين في الغابات والجبال و...اغتيل عبد الحليم الوقادي قبل أن يناقش رسالة الدكتوراه الموسومة ب"تجديد الفكر الإسلامي ، النهضة والانتكاسات " كان مثقفا واعدا محبا للفلسفة والأدب والبحث العلمي >> [1] في هذا المقطع السردي صوّر لنا **محمد مفلاح** معاناة الشعب الجزائري في هذه الفترة، قد أجاز فيه واختصر لنا كل صور العنف والتعذيب التي تعرض لها الشعب.

4- قضية الربيع العربي : وهي قضية أخرى من بين القضايا التي أثارها الكاتب في روايته ليكشف الكاتب من خلال روايته عن مرحلة جديدة من التاريخ العربي الراهن، وما آل إليه وضع الدول التي عرفت هذه الظاهرة ، وهو ما يسمى (بالربيع العربي) والذي أنهى اقتصاد وحياة كثير من المواطنين في الدول العربية << وكذلك بعض الممارسات السياسية المحلية والوطنية كما ينسى الشأن العربي والدولي وتأثيرات الربيع العربي والخراب القيمي والمادي الذي تشهده الخارطة العربية ، يقول كل ذلك في سياق سردي جميل ومشوق>> [2] فلم يغفل هذه القضية << ألقى محمد شعبان التحية على والده والتفت نحو شاشة التلفزة الموضوعة على خزانة خشبية فرأى صحفيا نحيفا وهو يعلق من قرية سورية مدمرة محاذية لتركيا ، على مجازر الحرب في سوريا>> [3].

من خلال هذا المقطع السردي يتضح لنا بأن الروائي **محمد مفلاح** لم يمجّد الربيع العربي أو أتى ذاكرا لمحاسنه، بل جاء منددا به باكيا على دوله وعلى شعبه الذي دمّر وطنه بيده والذي انقاد خلف شعارات كاذبة ومبينا لآثاره السلبية ، وكيف أنّ المجتمعات العربية قد صارت تعاني الشتات وأضحى شعبها مهاجرا في الأوطان العربية والغربية وهذا ما مثله شخصية **غنام ولد اللبة** الليبي الذي كان عاملا في موقف السيارات <<ضحك امحمد شعبان

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 20.

[2] - وليد بوعديلة ، الرواية بين الذاكرة والراهن : رواية شبح الكاليدوني والنفي الاستعماري للجزائرين ، ص14.

[3] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني، ص. 28.

ملء فيه ، ثم أخرج قطعة مئة دينار وسلمها إلى الشاب الهارب من جحيم ليبيا >>[1].وكأنه يقول من هذا المقطع السردي انظروا إلى مصيرهم تمسكوا بوطنكم حافظو عليه كي لا تصبحوا كلكم غنام الفار من الصراعات .

كل هذه القضايا الهامة التي تطرّق إليها الروائي هي قضايا ثانوية ،رغم أهميتها، ورد ذكرها غي إطار تحليل القضية الجوهرية التي بنى عليها روايته وبها جعلنا نلامس حاضرنا من خلال ماضينا اجتماعيا وتاريخيا وهي <<**قضية المنفى أو قضية المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة** >>

5- قضية المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة: وهي القضيّة الجوهرية التي تناولتها الرواية لتبرز أبعادها التاريخيّة وجذورها الضّاربة في القدم؛ <<الرواية الجديدة للكاتب محمد مفلاح الموسومة بشبح الكاليدوني، يدور موضوعها حول الثوار الجزائررين المنفيين إلى المستعمرات الفرنسية في العهد الكولنيالي ، وبخاصة إلى جزيرة كاليدونيا وكورسيكا الجديدة منذ سنة 1864، والرواية أيضا هي عن المنفيين في زمننا هذا >>[2] وبهذا حاول الروائي أن يلغي هامشية المنفى << فالمنفى معناه أن تظل هامشيا >>[3] وأن يبرز للساحة الجزائرية الأدبية والعامية أولائك الذين غيّبوا عنا وهمّشوا من دفاتر التاريخ ولكي يعيد لهم هويتهم تلك التي فقدوها منذ قرن وما يزيد .

لقد حاول الروائي في نصه أن ينقل لنا بعضا من الصور والقضايا التي عاشها الشعب الجزائري :<<لاسيما وهو ينصرف لتمثيل الزمن الكولونيالي >> تمثيله من جانب خاص ومن زاوية نظر مختلفة، فهو يطرح إشكالية هؤلاء المنفيين وعن سبب التغافل عنهم.

---

[1] - المصدر نفسه ، ص50.

[2] - الحاجي خديجة ، جديد الروائي والباحث محمد مفلاح << رواية شبح الكاليدوني >>، صورة عن معاناة المنفيين من قبل الاستعمار ، جريدة الجمهورية ، النادي الدبي ، العدد 5710، الإثنين 19 محرم 1437هـ الموافق ل02 نوفمبر 2015م ص 12.

[3] - إدوارد سعيد (صور المثقف) تر: غسان غصن ، دار النهار للنشر والتوزيع، (دط) ، بيروت-لبنان ، 1996، ص70.

المبحث الثاني: سرد المنفى واستدعاء الذّاكرة التّاريخية المهدّدة بالضّياع

إنّ أول ما تعرض له الإنسان من عقوبات كان النّفي، إنّه الطّرد من الجنة فهو ليس بالجديد على البشرية، حيث عرفت ظاهرة النفي منذ القدم بدءً من زمن الأنبياء والرّسل عليهم السلام وتوالت ظاهرة النفي عبر العصور ومثال ذلك نفي الشعب اليهودي لقرون، فالنفي إذن هو ذلك الإبعاد الممارس منذ القدم وهو عقاب ينزله الحكّام بالأفراد بسبب جريمة ما فيصبحون غرباء في منافيهم يحيون حياة بائسة[1]ويكون النفي لأسباب بعضها سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وبتأثير الحملات الاستعمارية التي عرفتها البلدان الضعيفة في القرون الثلاث الأخيرة، حيث انتقلت الجيوش المستعمرة إلى البلدان التي غزتها[(2)] حيث أن ما من استعمار إلاّ وأحدث فيها نفيا أو هجرة داخلية أو خارجية، فقد يغادر المستعمر قبيلته جماعته ريفه، مدينته إلى منطقة أخرى خارج الوطن تاركا أرض الأجداد وكنزا يلاحقه كشبحه وترابا يدغدغ أنفه كل صباح ليوقظه ،فما إن يستيقظ حتى تتلاشى ويتذكر أنه أصبح محض عبد يسعى وراء خبزه تسد جوع يومه، تاركا وراءه أرضا كان سيدا فيها فلا يستقر للاستعمار ولا يشبع من أطماعه ولا كرهه لصاحب الأرض حتى يشدد عليه الخناق وينفيه خارج الوطن إلى بلاد أخرى يلقى فيها مهانة الغربة وآلام الحنين.

وهكذا فإن النظر إلى المنفى يكون ضمن اتجاهين مختلفين كما يرى منظور **مابعد الكولونيالية**، فثمة منفى مفروض على الجماعات الثقافية والعرقية التي غدت الخطى باتجاه الغرب بتأثير استعمار بلادها ويوجد بعض المناصرين والرحالة الذين دفعتهم تجربة الاستعمار لاكتشاف الأراضي الجديدة والكتابة عنها، ودراسة طبائع الشعوب الشرقية وتقديم فقه مقارن للغات .[(3)]

إن الإنسان المنفي يحاول أن يهرب إلى الأمام فيتخلى عن كونه هو نفسه لاكتساب وضعية جديدة ومختلفة امتثالا لدور مرغوب مع أنّه يعذر الوصول إليه [(4)]،فأيا كان المنفى فإنه على الأقل خلال فترة معينة، وهذه الفترة قد تطول في مكان قاسي وموحش، وبهذا يظل

[1]-إدوارد سعيد ، تأملات في المنفى ، تر: نهاد سالم ، مجلة الكرمل ،، ع16، فلسطين ، 1994 .ص10.
[2] -نخري صالح ، معنى أدب المنفى ، مجلة الكلمة، ع10. فلسطين، أكتوبر 2007، ص01..
[3] - فخري صالح، ص01.
[4] - عبد الرحمن منيف ، الكاتب والمنفى ، المؤسسة العمومية لدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2001م،ص79.

المنفى غير مفهوم وبالتالي لا مبرر لوجوده واستمراره ولأنه موجود فهو ضد رغباتهم وفوق طاقة احتمالهم ولذلك فإنهم يلعنون وجوده من خلال مقاطعته أو تجاهل هذا الوجود وتنشأ تبعا لذلك مسافة بين الطرفين غير قابلة للاجتياز وكأنها نوع من العقوبة الخفية [1]

ولهذا فإن أصعب مصير يعيشه الإنسان هو النفي من قبل المستعمر، لأن النفي هو عزلة تعاش خارج الجماعة بإحساس بالغ الحدة حيث يشعر المنفيّ بضروب الحرمان، وعدم وجود المرء مع الآخرين في الموطن المشترك ، فكيف للمرء إذا أن يتجاوز عزلة المنفى دون أن يلجأ إلى لغة التفاخر القومي .[2]

فلو تجاوزنا المنفى العام وانتقلنا إلى قطاع محدد من المنفيّين وهم الكتاب والفنانين وحاولنا أن نفحص ونكتشف الهموم والمشاكل التي يعانون منها والتحديات التي تواجههم ، نجد أن المنفى يصبح أكثر صعوبة ، فإذا كانت الكتابة والفن عموما مهنة المتاعب أيا كان مكانها فإنها في النفي.... مهنة خطرة [3]

هذا بالنسبة إلى الكاتب المنفيّ الذي يصوّر معاناتهم في المنفى فما بال الكاتب الذي يكتب عن تاريخ المنفيين في مرحلة الاستعمار وفي دراستنا سنحاول اكتشافإن كان الكاتب والروائي الجزائري **محمد مفلاح** في روايته "شبح الكاليدوني" قد صوّر لنا ولو جزء يسير من معاناة المنفيين إلى الجزيرة البعيدة .

[1] - عبد الرحمن منيف ، الكاتب والمنفى، ص 80، 81.
[2] - إدوارد سعيد، تاملات حول المنفى1، تر: ثائر ديب، دار الآداب لنشر والتوزيع، ط2، بيروت- لبنان، 2007،ص121.
[3] - عبد الرحمن منيف ، الكاتب والمنفى ص84.

1-مفهوم المنفى :

1-ألغة: <<المنفي أي الّنفي يعني الطرد، الابتعاد، الإقصاء، النبذ والمنفى هو مكان النفي وجمعه "منافي"، أما في **المعجم الانجليزي** فكلمة المنفي تحمل دلالة على الخروج مطلقا والمنفى **"EXILE"**هو من يرغَم على الخروج من بلدته ومدينته والكلمة مشتقة من مادة **"EXILEM"** اللاتينية، وفي اللّغة الفرنسية نجد دوال النفي تبدأ بالمقطع **EX**ذاته كما هو الحال في الانجليزية، حيث أنّ EXIL (نفي– منفي) EXIL (منفى–مبعد) >>[1]أما لفظةEMPITUTATIONفتعني(تغرب–إبعاد عن الوطن)و EXPQTIEتعني(مبعد– منفي– مغترب)(هجرة جماعية، نزوح)(سفر الخروج في العهد القديم إذن فالمنفى هو إبعاد عن الوطن والنبذ بحثا عن عالم بديل، عالم أرضي يمثله العدل بعد أن ملأ الطغاة والجبروت.[2]

1-ب اصطلاحا:<<المنفى هو أحد أكثر الأقدار مدعاة للكتابة وفي أزمنة ما قبل العصر الحديث كان الأبعاد عقابا مرعبا بصفة خاصة لأنه لم يكن يعني فقط أعواما يعيشها الإنسان تائها بدون هدف، بعيدا عن الأسرة وعن الأماكن المألوفة، بل يعني أيضا أن يكون أشبه بمنبوذ دائم لا يشعر أبدا كأنه بين أهله وخلانه، لا يتفق البتة مع محيطه، لا يتعدى عن الماضي، لا يذيقه الحاضر والمستقبل إلاّ طعم المرارة >>[3]

من خلال مفهوم **إدوارد سعيد** للمنفى نفهم أن الحديث عن المنفى والمنفيين وإشكالات الهوية من بين أبرز القضايا التي يطرحها الخطاب الروائي العربي، إذ يمكن القول إنّ علاقة الذات بالهوية،والأنا بالآخر تتجلى في طرائق سردية جمالية متعددة في عدد غير قليل من الرّوايات العربية الحديثة والمعاصرة مثل **روايات المنفى** .

[1] - محمد الشحات، سرديات المنفى في الرواية العربية من بعد 1927م، أربن لنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2006 م،ص29.
[2] - محمد الشحات، سرديات المنفى في الرواية العربية من بعد 1927م، ص24.
[3] - المرجع نفسه ، ص09.

1- مصطلح أدب المنفى :

يرى الباحثون المعاصرون أن أدب المنفى<<هو أدب يهتم بالاستخدام الرّفيع لأنواع وثمات يعيشها وليس دراسة في التاريخ أو المضمون السياسي أو السير ذاتية للمنفيين فما هو شائع بل يجب التعامل مع أدب المنفى بوصفه وثيقة تاريخية أو سياسية فحسب >>[1].

ولقد أكد هؤلاء الباحثون أنّه لا وجود لكتاب عن المنفى بوصفه أدبا، إنما ما هو موجود هي كتب موجودة تدور أو تتحدث عن هؤلاء المنفيين الذين عاشوا في المنفى، لهذا فإن أدب المنفى لم يلق اهتماما كبيرا من الكتاب والأدباء ولم يركزوا عليه أو يتعمّقوا فيه، بل كان تناولهم لمواضيع المنفى والمنفيّين تناولا سطحيّا فقط بوصف هذه الشّخصيات التي عاشت تلك الأوضاع، فلم يتحدثوا عن هذا النوع من الأدب في البداية وقد عمد كثير من الباحثين المعاصرين المشتغلين في هذا الحقل على التركيز على **التّمثلات الأدبية** للمنفى بدلا من دراسة الأفراد والشّخصيات والجماعات[2]ولهذا كان من المفروض النظر إلى أدب المنفى من خلال محددات هذا النوع من الكتابة الأدبية مثل:اللغة المكتوب بها والتيمة المهيمنة، وطرائق تمثيلها والنوع أو الجنس الأدبي وجمالياته وإلى ذلك يوجد **"هومي بابا "** الذي يصف أدب المنفى بأنه أدب الاستئناس باعتبار أن المنفيّ هو من لا مأوى له أي من لا يملك بيتا يعيش فيه ، ونجد هذا الطرح عالم **الكولونيالية وما بعدها**[3] .

وفي جنس الرّواية نجد أنّ المنفى هو التيمة المهيمنة على النص الروائي فرواية المنفى تعالج موضوع المنفى من حيث هو اغتراب مكاني عن الوطن بشكل رئيسي، أو أنّ الرواية هي التي تتخذ من تيمة النفي أو الاستبعاد والأبعاد والإقصاء عن الوطن والنبذ والطرد قهرا أو قصرا نتيجة لعوامل سياسية أو اجتماعية أو كليهما معا موضوعا لها، بحيث تشكل تجربة المنفى أهم القضايا التي ينتجها الخطاب الروائي وتصبح بؤرة، للعملية السردية كلها أو بعض النظر عن كون المؤلف الحقيقي عانى فعل النفي على مستوى الواقع أم لا.

---

[1] - محمد الشحات ،سرديات المنفى،ص24.
[2] - المرجع نفسه ، ص24.
[3] - المرجع نفسه ، ص 24.

لقد أكد " **بول ريكور**"العلاقة بين المنفى والرواية بقوله:<< ومثل هذه الحالة من الجدل الخلاق هي ما يضفي على سرديات المنفى ملامحها المأثرة وهي سرديات يدور أغلبها في فضاء **ما بعد الكولونيالية**، فضاء يخلق باستمرار وبطريقة متزامنة صورتين متجاوزتين المستَعمِر والمستعمَر أو التابع والمتبوع وبلدتهما، كما رسمها بدقة فائقة مكاني أثير>>[1].

وبهذا فإن العلاقة الموجودة بين فضاء الرواية والمنفى علاقة مترابطة بحيث أن الرواية وكل ما يربط أجزائها تمثل الكتابة والأماكن التي عاش بها وأوردها أو ذكرها في روايته فهي راجعة إلى المنفى أو المكان الذي نفي إليه.

وبالتالي فإن الحديث عن المنفى والمنفيين في هذا السياق يحيلنا في النصوص السردية بشكل خاص ومن منظور الفن الروائي على الأخص إلى العلاقة بين المنفى والبنية السردية التي تخلفها وتتعلق من خلالها ملامح عالم المنفى والمنفيين، فكتابة المنفى تنهض بالأساس على ذاكرة الراوي الذي يسرد لنا علم المنفى من خلال شخصية ما كانت منفية في زمن الكولونيالية[2]، فموضوع الرواية ليس موضوعا تاريخيا واقعيا، كما هو متعارف، إنّما هو التاريخ المغيّب، أي التاريخ الذي يراد له أن ينسى أو يهمل[3]، والسبب هو أن هذه التفاصيل تكاد أن تنتهي أو تغيب من الذاكرة .

[1] - محمد الشحات ،سرديات المنفى ، ص.26.
[2] - المرجع نفسه ، ص27.
[3] - عبد الرحمن منيف ، الكاتب والمنفى، مرجع سابق، ص59.

2- خصائص أدب المنفى :

أدب المنفى هو نتاج لتجربة لها خصوصيتها، لكونه من إبداع فئة من الكتّاب الذين يعيشون خارج أوطانهم لظروف مختلفة، قد تكون قصريه، أو قد تكون اختيارية تعبيرا نوعيا عن النفس والروح والوعي، فهو يتميز بجملة من الخصائص نذكر منها:

- حضور الذاكرة الفردية و الجمعية بشيء من الإلحاح

- التعبير عن تجربة تجري وقائعها في وسط يمثل الآخر، بعيدا عن الوسط الذي تنتهي منه الذات الجمعية وبالتالي فهو يعبر عن الآخر المتعايش معه بكيفية قد تختلف عن موقفنامن الآخر وفق نظرة التنشئة الاجتماعية في الجماعة التي ينتمي لها .

يعبر عن مدى قدرة المبدع على التكيّف مع محيط المنفى والاندماج فيه، أو صعوبة هذا الاندماج والمعايشة [1].

- يعبر عن معايشة الآخر، مما قد يتيح الفرصة للمبدع لكي يكوّن له وعيا ورؤيا أرحب من تلك التي تشكّلت لديه وهو في موطنه الآخر والأصلي، وبالتالي تصبح نظرته لوجوده البشري أكثر إنسانيةويصبح أكثر اهتماما بقضايا الوجود البشري من خلال رؤياهالفلسفية الجديدة التي كوّنها في أرض المنفى وهو ما نعثر عليه في رواية المنفى، إذ يشكل المنفى في هذه الحالة قاعدة تحول جذري في الكتابة الإبداعية، من حيث الأسلوب والسمات[2].

4- سرد المنفى في الرّواية الجزائرية :

لطالما كانت الرواية الجزائرية موضوعا خصبا للنقد العربي على مرّ محطاته الزمنية المعروفة،فلا تخلو دراسة نقدية حول المضامين الفكرية أو الجمالية من اعتماد النصوص الروائية الجزائرية كنماذج للدراسة والبحث، إذ نجد حضورا متفاوتا لأسماء روائية جزائرية تمثّل نصوصها حقبا تاريخية مختلفة مثل روايات: **الطاهر وطار، محمد ديب، واسيني الأعرج** وغيرهم .

[1] -عبد الحميد بورايو ، ثنائية وإشكالية الكتابة والمنفى ، جريدة النصر، ع15 ، الجزائر،15 يناير 2019 ، ص.02.
[2] -المرجع نفسه ، ص.03.

ويستمر الاهتمام من قبل النقاد في الوطن العربي إلى غاية القرن الحالي، خاصة الكتابات النقدية الحديثة التي تبنت مجلات النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية، لهذا نجد الرواية الجزائرية حاضرة بقوة في هذه الدراسات، بعدما احتلت مكانا مميزا في المشهد الروائي العربي عبر النصوص الروائية والتي توسّلت أدواتا كتابية جديدة واقتحمت موضوعات جديدة، حيث ركزت الدراسات التي نحت هذا المنحى على قضايا وتيمات ثقافية معاصرة تمثلها الرواية الجزائرية المعاصرة، وتوزعت **بين تمثيلات المنفى والأنا والأخر الهوية وغيرها .....**

إن النص الجزائري المعاصر، يسعى إلى مناقشة جملة من المقولات من بينها **المنفى والتاريخ**، والذي نجده جليا في العديد من الروايات الجزائرية مثل رواية "شبح الكاليدوني" للروائي الجزائري **محمد مفلاح**، فهو إنسان مهتم بالقضايا السياسية والاجتماعية والتاريخية فهو رجل يحمل مشروع فكري وثقافي، حيث اختار من السرد الروائي وسيلة تواصلية للمناقشة مع جمهور أوسع من القراء حول التاريخ الجزائري المهمش والمنسي والمسكوت عنه الذي لايعرفه لا العامة ولا الخاصة، سوى قلة قليلة ممن بحثوا فيه.

عبر **محمد مفلاح** في نص روايته "شبح الكاليدوني" عنرغبته في البوح بهموم الشعب الجزائري المعاصر وبتاريخ بلاده في فترة الاستعمار وفترة العشرية السوداء، إذ نجده قد فتح قناة تواصلية جديدة مع المتلقي من أجل البحث والتنقيب عن تاريخ قد أغفله المؤرخون وبهذا استطاع **محمد مفلاح** في روايته **شبح الكاليدوني** أن يتجاوز الاجترار الكلي لتاريخ الاستعماري وينطلق من تاريخ قد غفلت عنه الذاكرة ليعبر عن حالة يعيشها الفرد الجزائري اليوم.

رواية **شبح الكاليدوني** من الروايات التي تخوض في التاريخ الجزائري دون أن تنسلخ من طابعها المعاصروهي إحدى المؤلفات الروائية التي أضافها الروائي محمد مفلاح " ضد المستعمر الفرنسي وتكشف عن مدى فضاعة الجرائم التي ارتكبتها في حق الشعب الجزائري من نفي وتهجير وتقتيل وكذلك لأنها تحتوي على طابعين الأول تاريخي والثاني

اجتماعي فهي تحمل في طياتها تاريخا تغافل عنه المؤرخون الجزائريين وكذلك هي تبرز معاناة الفرد الجزائري الذي يعايش واقعا مريرا .

عمل **محمد مفلاح** على تجسيد موقفه من لتاريخ الذات الجزائرية المنفية على مستوى الممارسة الخطابية في هذه الرواية، عن طريق العودة إلى حكايات الجزائريين الذين نفاهم الاستعمار الفرنسي إلى جزيرة **كاليدونيا** في المحيط الهادي بالقرب من أستراليا ويرحل بالقارئ إلى سرديات المنفى ليكتب التاريخ الفني للمنفى الاستعماري كما يقترب من أسئلة جزائر اليوم>>[1].

تنطلق الرواية من تتبع السارد ليوميات الشخصية السردية **"امحمد شعبان"** وهو موظف في قطاع الثقافة يعاني من مشاكل اجتماعية كثيرة ويضيف الروائي لها صراعات نفسية وتاريخية ومحاصرة الماضي له، فاسم البطل "محمد شعبان" يحيل بصورة مباشرة إلى جد والده**"امحمد الكاليدوني** " فشخصية البطل في الرواية له رغبة للعودة إلى الماضي من أجل البحث عن قبر جده <<محمد الكاليدوني>> والكشف عن سرّ لقبه (المنفي) الذي تحمله العائلة وتتساءل الرواية في جل صفحاتها عن أسباب إهمال المؤرخين المنفيين في كاليدونيا على حد تعبير البطل << أين هو قبر هذا الشيخ المنفي، الذي أورث عائلته هذا اللقب العجيب لماذا غيب المؤرخون مأساة هؤلاء الثوار المنفيين إلى كورسيكا وكاليدونيا الجديدة لا نعرف حتى أسمائهم، أمر عجيب ولماذا الناس عن هؤلاء المنفيين الذين لم تذكرهم الكتب المدرسية ولم تطلق أسماءهم على الشوارع والمؤسسات ...>>[2].

كان البطل امحمد شعبان محاصرا بصور جده الشيخ "محمد الكاليدوني "خاصة في ظل حرص والده الشيخ "عبد القوي" على السعي للوصول إلى قبر الجد الذي نفته فرنسا في ستينيات القرن التاسع عشر يقول: والد البطل << ابحث عن قبر جدي يا امحمد أريد أن أرى قبره قبل وفاتي...أحب أن تتعرف الحكومة على تاريخ جدي محمد المنفي وتضحياته...عاش منفيا في كاليدونيا الجديدة، انضم إلى ثورة الكناك وعاش بينهم ثم فرّ من الجزيرة في سفينة

[1] -سليم سعدلي ، مساءلة الموتى وإحياء ذاكرة المنفى قراءة في رواية شبح الكاليدوني لمحمد مفلاح ، جامعة برج بوعريريج ، العدد 3/ جوان 2019 ص 29.
[2] - محمد مفلاح شبح الكاليدوني ، ص33.

انجليزية تحمل الزيت إلى استراليا وقضى ثلاث سنوات في الحجاز ثم رجع إلى أرض الوطن مع موكب حجاج إلى المغرب ... اليوم نسيته الحكومة والمؤرخون وكل الناس في هذا الزمن الغدار>>[1].

هذا ما زاد في رغبة البطل في معرفة تاريخ جده المنفي حيث يقول البطل:<< الموت أرحم من ألم قلب مريض في زمن المنفى>>[2]إذ أن الذات المتكلمة في هذا المقطع ترفض العيش في كنف المنفى، ما تستطيع الذات أن تحيا مع زمن المنفى إذ أن الصرخة التي فضلت الموت على زمن المنفى لا يمكن أن تولد سوى اليأس وتدمير الذات المغتربة في ربوع المنفى .

إن الرواية صيحة يطلقها الأديب لإدانة العهد الكولونيالي والمجتمع والمؤسسات والكتاب والمؤرخون الجميع مسئول عن تجاهل جراح المقاومين المنفيين إلى كاليدونيا الجديدة وعن ردم شمس الحقيقة عن رحاء النسيان، لذا نجد "محمد مفلاح " أنه من السرد والرواية وسيلة لإحياء السياق الثقافي والاعتراف بمهازل التاريخ الجزائري المسكوت عنه، فكتاباته شيقة في إشارتها إلى التاريخ المغيب يقول :

<<لوكان بكيت أبطال رفدوهم في بابور بي ضاق المور

راهم شق البحور دارقين وخبرهم ينعاد .

راهم مسجونين في جزيرة وسط البحور ** بي ضاق المور وعليهم الباب والقفل معمد تعماد

عيطة ناس مسلسلين يتمشاو بالكور** بي ضاق المور جيش الروم معذبهم من بكري حقاد[3]

يشير هذا المقطع إلى ميزة خاصة وهي ضمير الجماعة الذي يمثل شظايا صورة المنفى والاغتراب التي عاشها أبطال الثورة في فترة الاستعمار الغاشم، كما أنّ الروائي ذكر

2- المصدر نفسه ص15.
[2] - المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
[3] - محمد مفلاح شبح الكاليدوني ،ص42.

صرخة هؤلاء والافتخار بصبرهم وتضحياتهم وإثبات التاريخ المنفي بشهادات توثيقية، ففي الرواية نجد والد البطل "عبد القوي" أعطى لابنه ثلاث وسائل كان يبعثها الشيخ امحمد المنفي وهو في كاليدونيا الجديدة ، يقول عبد القوي :<< لقد حدثتك عن جدي المنفي واليوم أريد أن تطلع على رسائله التي لا تقدر بثمن، ستجد فيها معلومات هامة لا يعرفها المؤرخون ورجال الحكومة ... احذر أن تضيعها إنها كنز ثمين ...>>[1]هذه الرسائل الثلاث فتحت وعي "امحمد شعبان" على أعمال شنيعة قامت بها فرنسا الكولونيالية واستيلائها على أراضي المجاهدين، فنجد والده قد حدّثه عن مأساة الشيخ امحمد المنفي الذي لم يكتب عنه المؤرخون حرفا واحدا، وبهذا لم يتعرف خريجي الجامعة على هذا الجرح المؤلم في تاريخ المسرودة في زمن المقاومة ولم يفهم عمقه النازف إلاّ بعد قراءته المتواصلة للرسائل الثلاث.

منذ تلك اللحظة رغب البطل في البحث عن الكتب والوثائق التي تتحدث عن تاريخ المنفيين حيث لم يعثر على أي كتاب تناول مؤلفه تاريخ منطقة غليزان، هذا دليل على الذاكرة التاريخية الجزائرية المنسية وأن التاريخ الجزائري مسكوت عنه يقول الروائي :<< لم يكن امحمد شعبان يخفي هوسه بالبحث عن الماضي أجداده أحسّ أنّ هذا العالم الجديد ولجه مرتجف سيمنحه لذة للعيش بسلام مع أرواح الموتى المنفيين ولم يخف أيضا سخطه على المؤرخين الذين غيبوا تاريخ أجداده ومنه تضحيات امحمد المنفي ..>>[2] .

إنّ هذه الرواية صرخة فنية في وجه كل سياسي جزائري بل في وجه كل مواطن تدعوه للعودة الى دراسة التاريخ المحلي من ثورات ومقاومات <<ثورة سيدي لزرق بلحاج>> التي لا تدرس حتى الآن بطريقة لائقة، لأن معظم وثائقها مازالت جاثمة ومكدسة وحبيسة صناديق دور المحفوظات دون إطلاع الباحثين عليها ودراستها[3]يقول البطل << هل يخجل مؤرخو فرنسا الكولونيالية، من الكتابة عن معاناة هؤلاء المنفيين >>[4] وهنا نجد الروائي يتحصر على الصمت الجزائري الرسمي على عمق تاريخ بلاده الذي أهمل عبر حقب زمنية متعاقبةوهو في هذه الرواية يدعو كل مواطن إلى البحث في تاريخ الجزائر

[1] - المصدر نفسه ، ،ص33.
[2] - محمد مفلاح شبح الكاليدوني ،ص18.
[3] - ابراهيم عباسي ، روح الامير عبد القادر المقاومة ، مرجع سابق ص236.
[4] _محمد مفلاح، شبح الكاليدوني ،ص36.

المغيب والمنسيوالمسكوت عنه ، وحفظه وصيانته قبل فوات الأوان وقبل أن يجد الوطن نفسه أمام أبناء من غير ذاكرة ولا تاريخ ومن غير قيم، وربما هاته الرؤى التي حضرت سردا تفسر الحنين لأزمنة الأجداد في كاليدونيا الجديدة .

5-الذاكرة الجزائرية المهددة بالضياع:

5-أ-مفهوم الذاكرة :

يعد البحث في الذاكرة من القضايا الأكثر إثارة للجدل، لما لها من دور وظيفي مركزي في السيرورة التفكيرية، حيث تتجلى مركزيتها على الذات الإنسان بمفردها فبدأ التفكير في الذاكرة ودورها المعرفي في حضارات العالم القديم، ولاسيما الحضارات المحيطة بالبحر البيض المتوسط إبان القرن الرابع للميلاد حيث تلمس أفلاطون وأرسطو وظيفة الذاكرة والتذكر للوصول إلى المعرفة وبالتالي إلى الحقيقة .

تناول موضوع الذاكرة عدد كبير من الفلاسفة عبر أزمنة متعاقبة ومختلفة ، نذكر منهم ، **"بول ريكور"**أحد الفلاسفة الذين يمكن الاسترشاد بفهمه للذاكرة فهو يربط الذاكرة بالتاريخ وبالنسيان، حيث أن الذاكرة تتعزز بالتاريخ ، لاسيما التاريخ المكتوب (مقالات) كتب تتخللها جداول ، خرائط ، صور ،...)[1]

وينتقل إلى وجوب التذكير لاسيما عندما تحاصر الذاكرة بخطط خبيثة تراهن على النسيان، ويتأكد الأمر في حالة المنتصر الذي يحاول أن يطمس ذاكرة المغلوب [2]، أي أن يعرض النسيان عن ذاكرته.فالذاكرة هي المادة الأولية للتاريخ والتاريخ بدوره يأتي ليغذي الذاكرة في تحمل وجع الماضي ، وصرخته في وجه الزمن أمام محاولات المحو و الطمس والنسيان كما أنها سلاح كائن لترميم هذا الماضي والانفتاح على الكينونة الإنسانية وقيمها الكبرى.

[1] - بول زيكور ،الذاكرة،التاريخ، تر :جورج زنياتي ،دار الكتب الجديدة ،ط 2009،البلد567 569.
[2] -المرجع نفسه،ص565.

5-ب أشكال الذاكرة :

ويقصد بها العمليات المتعددة، التي ترتكز عليها عملية التذكر وتنحصر في ثلاث مسائل:

1- **التعرف:** يمكن اعتبار التعرف شكلا من أشكال القدرة على التمييز بين الأشياء التي سبقت أن صارت بخبرتنا والتي تعلمناها وبين الأشياء الجديدة .[1]

2- **الاستدعاء"الاسترجاع":** هو قدرة المرء على استدعاء أو إعادة مادة_سبق تعلمها أو الاحتفاظ بها في ذاكرته ويكون الاستدعاء لفظيا، وذلك بإعادة القيام بالعمل أو السلوك بنفس طريقة التي كان قد تعلم بها.

3- **إعادة إحياء الموقف السابق:** هو عبارة عن تذكر شيء ما، ثم تذكر الموقف الذي نتج عنها. [2]

5-جـ -استدعاء الذاكرة التاريخية الجزائرية المهددة بالضياع في الرواية :

ساهمت الرواية الجزائرية منذ نشأتها بدور كبير في بناء صرح معرفي للإنسان وهويته وثقافته، فقد كانت ومازالت تمثل حقلا إبداعيا يزخر بأسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، وعنصرا يعج بصور شتى معبرة عن الخصوصية الثقافية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ،وهذا ما يجعل بالذاكرة التاريخية ملمحا بارزا يسم عددا من المتون الروائية الجزائرية.

إنّ العودة إلى التاريخ في النص الروائي الجزائري المعاصر **يستوجب بالضرورة استدعاء وتمثل الذاكرة التاريخية** ، ففي رواية **شبح الكاليدوني لمحمد مفلاح**، يعود الكاتبإلى الزمن الماضي من خلال الانطلاق من الحاضر، فيختار لنا فترة زمنية يعبّر عنها بإشارات تاريخية وهي فترة نفي المقاومين الجزائريين إلى "كاليدونيا" الجديدة من قبل الاستعمار الفرنسي، فيرحل بنا الروائي للتاريخ الفني للمنفى الاستعماري وتفاعل الأحفاد مع الذاكرة التاريخية الجزائرية، فنجد في الرواية أن البطل " أمحمد شعبان " بدأ في البحث عن

[1] -جودت بن وآخرون ، مدخل علم النفس ، مكتبة دار الثقافة لنشر والتوزيع، ، الدار العلمية الدولية، ط1 ، الاردن 2008، ص 125.
[2] - المرجع نفسه، ص125.

تاريخ المنفيين فراح يبحث في الكتب والوثائق ، وفي رفوف الديوان والمكتبات الوطنية التي تناولت منطقة غليزان لكن لم يعثر على أي كتاب تناول مؤلفه تاريخ المنفيين، يقول البطل << ومن يعرف الشهداء الآخرين ظلوا مجهولين في كتب التاريخ ... من ينقذهم من النسيان >>[1]لم يخف البطل هوسه في البحث عن تاريخ المنفيين المهدد بالضياع كما أنّه لم يخفي سخطه على المؤرخين الذين غيبوا تاريخ أجداده. ومنه تضحيات الشيخ "أمحمد المنفي".

إنّ التاريخ الجزائري بحاجة لعودة سريعة إلى أسسه ومنطلقاته ، وإعادة ربط أحداثه بالشخصية الجزائرية التي لا تدرك ما في الأرض التي تقف عليها ، قد تراوح هذا الماضي بين ازدهار وانحسار وترك آثار إيجابية وأخرى سلبية لا يزال يعاني منها المجتمع الجزائري الذي طبع عقله الجمعي على خرافات وأكاذيب ، ركبتها تركيبا عشوائيا ، ليصنع بها تاريخا يظن أنه الماضي المشترك الجزائري تتشدق به الكتب دون بحث وتنقيب عن هذا التاريخ ورجاله الأفذاذ ، في مقابل الانجازات العلمية والثورات التحريرية والمقاومات الشعبية مثل ثورة **سيدي لزرق بلحاج** التي ظلت حبيسة المخطوطات التي لم تحقق بعد وأخرى ضمن رفوف مكتبات البلدية و الوطنية والتي فعل بها الزمن من فعله يقول : << أحمد الصم ببرود : كان لنا تاريخ أم لم يكن فنحن اليوم بحاجة إلى من يساعدنا لبناء مساكننا القديمة >>[2] وبهذا أصبح التاريخ الجزائري غائب ومغيب ، وأصبح الإنسان الجزائري كائن مجهولا بغير تاريخ ولا حاضر دون نظرة استشرافية للمستقبل.

تثير رواية **"شبح الكاليدوني"**صراعا حادا بين نسقين متضادين، يتمثل الأول في صوت الروائي **محمد مفلاح** الذي يوجّه سخرية جارحة للتاريخ المقموع ، والثاني أصوات ذاكرة الموتى "الأشباح"، حيث حرص الروائي على تصوير غدر المؤرخين في كتابة التاريخ (الذاكرة التاريخية الجزائرية). وإحياء السياق الثقافي عن طريق الظهور بقناع التنقيب ، لكونها هؤلاء يغيبون قيمة الذوات الصارخة في جزر كاليدونيا الجديدة يقول : <<

[1] - محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ، ص 60.
[2] - المصدر نفسه ، ص 94.

فاروق البايلك: << سمعت أنك مهتم بخرافات الماضي وشرعت في البحث عن تاريخ جدكم المنفي ، أنه مجرد خرافات من صنع خيال والدك المريض >>[1].

سعى الروائي إلى استحضار بعض الشخصيات التي لم يشر إليها كتّاب التاريخ ربما هذه الصيغة من صيغ الجمع صفحات الذاكرة الضائعة والتي أصبحت لصيقة بالنسيان في عالم الجيل الجديد، فجزيرة كاليدونيا الجديدة الواقعة في المحيط الهادي التابعة للأراضي الفرنسية الحاملة للذاكرة الجزائرية منسية أمام تاريخ صنعته الذات المستعمرة الطامسة لمعالم الذوات المنفية يقول البطل "محمد شعبان ":<< كيف يسكت العالم كله عن هذه الجرائم الشنيعة؟ وهؤلاء المتوحشون لم يخجلوا من تسجيل أحداث جرائمهم في تقارير رسمية ومذكرات شخصية >>[2].

وبهذا فالرواية تحاول الحفاظ على الهوية التاريخية الجزائرية، وتدين جرائم فرنسا وتستدعي صفحات من التاريخ المغيّب والمسكوت عنه، هذا التاريخ الذي اختزال بطولات أصحاب المنفى وتصدّيهم لإساءة المستعمر.

اتسمت رواية شبح الكاليدوني بحسها الكشفي عن الحقائق التي أغفلها التاريخ لذا تسعى الرواية إلى التمظهر بمظهر جديد يقول :<<إن جريدة الأخبار نشرت مقالا مذهلا يتحدث عن محرقة ارتكبها الكولونيل بليسيه في منطقة الظهرة، إن محرقة شنيعة، ثم قرأ فقرات أخرى عن اختناق أولاد رياح بالدخان بعدما أمر الكولونيل بليسيه بإضرام النيران في حزم الحطب والتبن عند مداخل المغارة >>[3].

يتحدث الروائي في هذا المقطع عن الجرائم المرتكبة في حق أبناء البلاد، كما أن في هذا المقطع المأساوي إشارة وثيقة الصلة بالحالة النفسية التي آلت إليها الذات الجزائرية بعد تدوين التاريخ.

[1] - محمد مفلاح شبح الكاليدوني ، ص 65.
[2] - المصدر نفسه ، ص88.
[3] - المصدر نفسه ، ص.87.

لقد تمرد **الكاتب** ضد الكتابة التاريخية النمطية التي تعيد اجترار الإرث الاجتماعي والثقافي، حيث راح الكاتب بفطنته يبحث عن التاريخ خارج الأسوار وهو التاريخ الذي غيبه المؤرخون ونسيته الذاكرة.

إن المأزق الذي حاول الكاتب تحليله في نصه الروائي،كان مأزقا أنتجته العصبية الفرنسية اتجاه الذات الجزائرية في سياق تاريخي تحكمه آليات التغييب، لقد كانت مغامرة "شبح الكاليدوني" التي أنهى بها الكاتب مسيرته نحو ذاكرة المنفى التي لاتزال أطيافها قابعة في كاليدونيا الجديدة محفوفة بالمخاطر، فالروائي قد تميز بالجرأة والرغبة في اختراق الحدود الخطابية التي لا تشتغل إلا بلعبة الإحياء والحفر في المكونات المترسبة التي تحتاجها الأجيال القادمة لمعرفة تاريخها الاجتماعي والثقافي .

5-د- الوسائل التي استعملها الرّوائي في استدعاء الذاكرة الجزائرية :

1- **الرسائل:** لقد حاولنا تقصي الوسائل التي استعملها الروائي والتي اكتسبت في الرواية صيغة نصية بحكم سردها لحياة المنفيين في كاليدونيا، فهي تفتح على الذاكرة وتستعرض المواقف والمعارك التي خاضها المنفيون وخاصة تضحيات الشيخ محمد المنفي ضد الاستعمار .

أما ماورد في **الرسالة الأولى**:

فهو وصف للأوضاع التي عاشها المنفي ونفي بلاد المنفى ، ووصف حنين الجد "محمد المنفي" لبلاده وأقاربه وأهله، يقول :<< صراحة أنا في هذا البرّ المسمى كاليدونيا أشعر بالحزن الشديد ولا أداويه إلا بتلاوة القرآن الكريم والتسبيح >>[1] .

كما ذكر إحصاءً لعدد المنفيين في كاليدونيا فيقول << أما عدد المنفيين ، بسبب ثورة سيدي لزرق بلحاج ... فهو 400 شخص أو يفوق ، ومات منهم عشرون في الأشغال شق الطرق>>[2]

[1] محمد مفلاح ،شبح الكاليدوني ،ص37.
[2] - المصدر نفسه ، ،ص38.

وفي **الرسالة الثانية** ورّد فيها وصف لحرب كانت بين الفرنسيين وسكان الجزيرة يقول:<< أخبركم بما حدث لي وبعض المنفيين من إخواني الجزائريين في يناير إندلعت ثورة قادها الكناك ... فلم نتحمل نحن الجزائريين ما شاهدناه من ظلم ومجازر فانضم بعضنا إلى هؤلاء السكان الطيبين>> [1].

أما **الرسالة الثالثة** فكانت بشرة خير، حيث استطاع الشيخ "محمد المنفي" الفرار إلى بلاد الحجاز، واعتمر عمرة له ولوالده .

من خلال هذه الرسائل زاد وعي البطل "امحمد شعبان"بالأعمال الشنيعة التي قامت بها فرسا الكولونيالية ونفيها للمقاومين إلى كاليدونيا ،واحتلالها لأراضيهم .

2- **المجلات:** كانت للمجلات دور كبير في استدعاء الذاكرة التاريخية، حيث نجد في الرواية ذكرالمجلات تناولت بعض المقاومات والمظاهرات الشعبية، يقول الروائي:<<ظل عاشور يعيره الوثائق والكتب والمجلات التاريخية منها مجلة الإفريقية رقم (51) التي تحتوي على ملف كامل عن المحرقة>>[2].

3- **الجرائد:** يقول الروائي: <<وقرأ في قصاصة من جريدة المبشر الفرنسية أن الإمبراطور نابليون الثالث وصل مدينة غليزان يوم 21 جوان 1865 م صباحا>>[3]

من خلال قراءة هذه الوثائق ازدادت رغبة البطل في البحث عن تاريخ أجداده والذين تم نفيهم إلى كاليدونيا الجديدة والذين عاشوا حياة المنفى على يد المستعمر والذي جرب فيهم جميع وسائل الأعمال الشاقة .

[1] -المصدر نفسه ،ص39.
[2] المصدر نفسه ،ص88.
[3] محمد مفلاح شبح الكاليدوني، ص81.

الفصل الثاني

أشكال المقاومة الثقافية في رواية "شبح الكاليدوني"

المبحث الأول: المقاومة كمبدأ أساسي للرفض المطلق للاستعمار.

المبحث الثاني: أشكال المقاومة الثقافيّة

لقد ظلّت الجزائر حقبة زمنية طويلة تحت نير الاستعمار الغاشم الذي سلّط على شعبها أبشع أنواع العذاب ومارس أفظع أعمال التخريب وقد شملت هذه الممارسات شتى مناحي الحياة السّياسية، الاجتماعية و الاقتصادية وحتى الثقافية، حيث شرعت السّلطات الاستعمارية في تطبيق سياستها الثّقافية غير ملتزمة بالوعود التي قطعتها على الجزائريين وهذا من أجل القضاء على مقومات الشّخصية الوطنية وطمس معالم الدّولة الجزائرية وتحطيم القيم الثّقافية والحضارية والقضاء على مبادئ الهوية الوطنية من لغة ودين وثقافة، وذلك بتطبيق مختلف سياسات القمع اتجاه المؤسّسات الثّقافية ومحاربتها للّغة والثقافة العربية الإسلامية، إضافة إلى سياسة التّنصير، وهو ما ترتب عنه ردود فعل أولية تمّ مواجهة الاستعمار الفرنسي بها ثقافيا خلال القرن التّاسع عشر والتي تعتبر بمثابة منعرج حاسم للمقاومة الثّقافية التي ظهرت في بداية القرن العشرين.

المبحث الأول: المقاومة كمبدأ أساسي للرّفض المطلق للاستعمار

لقد تعرضت الجزائر عبر العصور التّاريخية إلى ظاهرة الاستعمار، فكانت مطمعا لكثير من الشّعوب التي أرادت الاستقرار بأرضها والانتفاع بخيراتها من النّاحية الاقتصادية والسّياسية،فلم تكتف بهذه الغاية فقط بل تعدّت ذلك إلى الغاية الثّقافية «حيث كانت الثّقافة والهويّة محور الصّراع وذلك في إطار ما حمله الفرنسيون معهم من سياسة محو وإقصاء الثّقافة الوطنية الجزائرية»[1]، فبمجرد دخول فرنسا إلى الأرض الجزائرية راحت تعبث بالجزائريين من خلال محاولة إضعافهم فكريا وثقافيا عن طريق القضاء على المراكز الثّقافية وتهديم المساجد ونشر البدع والخرافات ونشر الجهل والأمية والتضييق على المثقفين إمّا بنفيهم خارج الجزائر أوبزجّهم في السّجون والمعتقلات.

وجد الاستعمار الفرنسي أمامه شعبا لا يقهر بسهولة، متمسّكا بهويته الوطنية، لذلك سعى لبسط هيمنته وفرض نفسه من أجل ضمان بقائه، فلم يكتف بالقوّة العسكرية بل عمل جاهدا على تفكيك البنية السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري محاولا طمس الهويّة

[1] - سفيان لوصيف،المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي المظاهروالانعكاس،المجلة التاريخية الجزائرية،ع03،مخبرالدراسات والبحث في الثورة الجزائرية ، ع3، جوان 2017_المسيلة ،الجزائر،جوان2017، ص.151.

الوطنية الجزائرية، فهو يعلم بأن الهوية والثّقافة يمثلان <<وجهان لعملة واحدة ، فلا يمكن الحديث عن الثّقافة دون ذكر للهوية، والعكس إذ ما من هوية إلاّ وتختزل ثقافة في سياقها، فلا يمكن أن توجد ثقافة دون هوية>>[1].

تعتبر الثّقافة من بين المواضيع القديمة التي أسالت الكثير من الحبر والجدل وقد تناولها المفكرون والباحثون والفلاسفة في مواضيعهم باعتبارها<< الوحدة الكليّة المعقدة التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأحلام والعادات، بالإضافة إلى أيّ قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع >>[2]، لذلك ومنذ تعرّضت الجزائر للاحتلال الفرنسي عمل الشّعب على الحفاظ على هويته الثقافية والاجتماعية من خلال التّمسك بثقافته ودينه وعاداته وتقاليده.

لقي المستعمر من الشّعب الجزائري ردّ فعل طبيعي هو المقاومة بكلّ أشكالها الثقافية والاجتماعية والسّياسية والعسكرية باعتبارها<<ردّ الفعل ومواجهة العناصر الدّخيلة ورفض تقبلها والتّصدي للاعتداءات، التي تقع من طرف أيّ أجنبي >>[3]، من هنا تعتبر المقاومة صورة من صور الرّفض والتّمرد وعدم القبول والرّضوخ ومحاربة الظّلم والطّغيان وكل شكل من أشكال الاستعمار<< أنّها ذلك الفعل الصّادر عن مجموعة من الشّعوب أو القبائل، التي انتهكت حدودها وترابها من طرف الغزاة الدّخلاء وقد تتخذ أشكالا متعددة من حمل للسّلاح لصد العدوّ إلى الفعل الدبلوماسي، والمفاوضات في إطار المؤسّسات إلى أشكال أخرى تعبيرية تلقائية، وكذلك التّعبير عن رفض الواقع الرّاهن عن طريق الأشعار أو الأغاني أو الرّقصات أو التّمثيلات أو التّعليم ...>>[4]،

---

[1] - عبدون زكية، التّمثلات الثقافية لسؤال الهوية في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص " مقاربة نقدية ثقافية ، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي، تخصص أدب جزائري، إشراف الأستاذ لونيس بن علي، كلية الآداب واللغات ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية – الجزائر، السنة الجامعية 2015/2014 ، ص. 45.

[2]- كليفوردغيرتر، تأويل الثّقافات، مقالات مختارة، تر: محمد بدوي ، المنظمة العربية للترجمة، ط1 ، بيروت - لبنان ، 2009. ص.08.

[3]-محمد الطيب،مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1980 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، ط1، 1985 ، ص.17.

[4]-علال ركوك، أدب المقاومة المغربية في بعض المصادر الأجنبية ، مجلة البحث العلمي، ع47، الرباط – المغرب، 2001 ، ص. 147.

من هنا يتضح بأن للمقاومة أكثر من شكل وأسلوب فهي لا تقتصر على حمل السّلاح فقط، وإنما تتعدّاه إلى المكونات الأساسية للثقافة الشّعوبية وإلى التّعليم والفن و وكل فنون القول.

يعتبر مفهوم الثّقافة الذي قرناه في دراستنا هذه بفعل المقاومة من أكثر المفاهيم انتشارا في حقل الأدب وعلم الاجتماع معا، ونظرا لاتساع هذا المفهوم يصعب إيجاد تعريف واحد جامع مانع له، <<حيث إن كل علم من العلوم يقدم تعريفا لها يتماشى ومبادئه وأهدافه>>[1]،فقد أعطاها **مالك بن نبي** أكثر من تعريف وخصّص لها بحثا كاملا سمّاه (مشكلة الثّقافة)،واعترف <<بأنّ هذه الكلمة لم ترد بشكل واضح في القواميس عبر العصور الماضية>>[2] ولكنه اعترف بأن كلمة الثقافة تعني الحذق والفطنة.

إنّ الثّقافة إذاً<<هي الكلّ المركّب الذي يشتمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات وعادات أخرى اكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع>>[3] فهي تعتبر موروثا اجتماعيا يكتسبه الإنسان من المجتمع الذي يعيش فيه، كما يساهم في إنتاجه أيضا.

وبالربط بين المصطلحين المقاومة والثّقافة، ينتج لنا مصطلح جديد يصطلح عليه **بالمقاومة الثقافية** والتي << تمكّن الأمّة من استرجاع هويّتها وترميم وجودها من جديد، وذلك بالاعتماد على العناصر القومية التي شكّك فيها المستعمر في المقام الأول، فالعناصر القوميّة هي من عوامل الحفاظ على الذّاكرة الجمعية وتعزيزها >>[4]

وقد حاولت الرّواية الجديدة أن تصوغ لنا بعضا من هذه المظاهر من خلال العودة إلى الماضي واسترجاع أهم المواقف التي مرّت بها هذه الحركة المناهضة للاستعمار من جانب لا يقل أهمية عن جانب العمل المسلح ، وهو الجانب الثّقافي لعلمها بمكانته وأهميته.

---

[1]- لصادق العلالي،العلاقات الثقافية الدّولية،ديوان المطبوعات الجامعية، ط1 الجزائر، 2006، ص25.
[2]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الوعي، ط2، الجزائر،2013، ص19.
[3]- الصادق العلالي .المرجع السابق، ص30.31 .
[4] - إدريس الخضراوي، السرد موضوعا للدراسات الثقافية، نحو فهم لعلاقة الرّواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية، مجلة تبيين ، ع217 ، شتاء 2014 ، (الجزائر) ، ص 129.

إنّ المتتبع لتاريخ الجزائر النّضالي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر يجده زاخرا بكل أشكال المقاومة، وهذا ما دفعنا إلى الانطلاق من تحليل واقع السّرد التّاريخي في رواية " شبح الكاليدوني" من أجل فهم مبرّرات فعل المقاومة الثقافية التي تلخّصت في الرغبة بالتّخلص من القمع الاستعماري الذي عبّرت عنه الرواية من خلال إبراز معاناه المنفيين إلى كاليدونيا واسترجاعهم ذكريات الثّورة والكفاح المسلح.

تعود بنا صفحات الرّواية إلى السّنوات الأولى للعمل النضالي، وهذا لطبيعة الرّواية ذات التّوجه التّاريخي الذي نلمسه في معظم كتابات **محمد مفلاح**، تحدث الروائي - كما سبق وأشرنا في الفصل السابق-عن فترة الثّورات الشّعبية أي المرحلة الأولى للاستعمار، ونلاحظ بأن المقاومة في هذه الفترة اعتمدت على عنصرين اثنين: العنصر الأول يتمثل في جانب العمل المسلّح من خلال الثّورات الشعبية ، والجانب الثاني ويتمثل في الحفاظ والتّمسك بأساسيات ومكونات الثّقافة الجزائرية من خلال فعل المقاومة الثقافية.

نلمس في معظم روايات **محمد مفلاح** الوعي بقضايا وطنه والوفاء لأرض أجداده وهذا من خلال أعماله الأدبية التي ترفض الاحتلال الفرنسي وتشجّع على مقاومته ثقافيا. ففي رواية **"الشبح الكاليدوني"** نجده قد وظف الكثير من الجماليات وملامح الثّقافية الشّعبية من شعر وأمثال وعادات وتقاليد، وصولا إلى الحديث عن التعليم الديني في المساجد والزوايا باعتباره من الأشكال المهمة للمقاومة الثقافية. فجاء الحديث عن مدرسة مازونة وتعليم الفقه المالكي وأجواء التّعليم القرآني وعادات الدفن في الغرب الجزائري.

ولعل هذا الزخم الثّقافي الموجود في الرواية مردّه إلى اطّلاع الروائي الواسع على الثقافة الشعبية باعتباره باحثا في التّاريخ الثقافي لمنطقة غليزان.

وعليه سنحاول في هذا الفصل استخراج أهم أشكال المقاومة الثقافية التي وظفها الرّوائي في روايته، والتي كانت متواجدة في تلك الفترة، إذ يرى العديد من الباحثين والدارسين بأن المقاومة الثقافية الجزائرية هي حركة ظهرت للعيان في القرن العشرين مع بروز الوسائل المساعدة على ذلك من مسرح وجرائد ومجلات وغيرها، فماهي إذاً أبرز أشكال المقاومة الثقافية في رواية "شبح الكاليدوني" ؟

المبحث الثّاني: أشكال المقاومة الثّقافية في رواية "شبح الكاليدوني"

1- المقاومة من خلال التّعليم :

جاءت فرنسا وهي تحمل مشروعا كولونياليا يهدف إلى إلحاق فرنسا بالجزائر سياسيا وثقافيا واجتماعيا ومن أجل تحقيق هذا المشروع عكفت ثقافيا على تدمير المنشآت التّعليمية والمدارس والزّوايا<<ويصور لنا تقرير اللّجنة الإفريقية عام 1833 (RAPPORT DU COMITE AFRICA) الوضع الحقيقي في الجزائر: لقد حطمنا ممتلكات المؤسسات الدّينية وجردنا السّكان الذين وعدناهم بالاحترام، وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض وذبحنا أناس كانوا يحملون عهد الآمان وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القدّيسين في بلادهم لأنّهم كانوا شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين>>[1] .ونلاحظ أنّ أول شيء عمل المستعمر على تدميره هو المدارس والزوايا لعلمه بمكانتها ودورها في نشر روح المقاومة.

لقد سارت المعاهد والمدارس جنبا إلى جنب مع العمل المسلّح في مقاومة العدو، إذ تعتبر من أبرز وسائل المقاومة الثقافية ومن أبرز المعاهد التي قاومت ثقافيا الاستعمار منذ دخوله الكتاتيب القرآنية والزوايا.

تعتبر الكتاتيب القرآنية من أقدم معاهد التّربية في الإسلام، وقد كانت منتشرة انتشارا واسعا في كل المدن والقرى الجزائرية، فلم تتخلى عن مهمتها التّعليمية بل يرجع الفضل الكبير إليها في المحافظة على القرآن الكريم وحمايته من الاندثار[2]، وإن كانت الوسائل المستخدمة للتّدريس في هذه الكتاتيب هي وسائل تقليدية (اللوح، الصلصال، الأقلام القصبية، المصحف الكريم أو جزء منه).[3]

---

[1] - أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل،ع28 ، العراق، 2016. ص.164.

[2]- رابح تركي: التّعليم القومي والشّخصية الوطنية، 1931-1956، الشركة الوطنية لنشر، (ط1)، الجزائر. 1973ص250- 251.

[3]- عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900-1977، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،دط، الجزائر، 1983، ص 61.

يعتبر **الأمير عبد القادر بن محي الدين** ، من بين أهم الشّخصيات التاريخية التي أدت دورا رياديا في حركة المقاومة الثقافية في فترة المقاومات الشّعبية. ولم تقتصر مقاومة **الأمير عبد القادر** على الجانب السّياسي والعسكري فقط >>بل وسّع مجالات المقاومة، واعتبر كل مجال جزءا من المقاومة، وحلقة أساسية فيها، ومن هذه المجالات: الإدارة، الثّقافة ، التّكوين العقائدي والعسكري، الصحة، الاقتصاد<< .[1]

ويعرف الأمير بأنه كان >> يحب العلم والعلماء ويتواضع لهم، ويعرف عنه أنه قام بتنظيم المدرّسين في العديد من المدن لتدريس فنون العلم المختلفة وحدد لهم مرتبات تتناسب ودرجاتهم العلمية وحثّ الناس على طلب العلم واحترام أهله، وكان إذا حضر عنده معلم امتحنه في مادته، فإذا وجده محصّلا وناجحا فيها أكرمه ووظفه وإلا أعرض عنه <<[2].

تتضمن رواية "شبح الكاليدوني" ذكرا لاسم الأمير عبد القادر، وتلميحا صريحا على حبه للعلم يقول السّارد:>> وألقى الشيخ عبد القوي نظرة عميقة على صورة الأمير عبد القادر المثبتة في الجدار قرب جهاز التلفزة، ثم أمسك المصحف الشريف <<[3]نلحظ في هذا المقطع السّردي أن الرّوائي قد ربط ببين النّظرة العميقة للصّورة المثبتة وبين التّلاوة المصحف الشريف، وهذا يحمل دلالة على طبيعة العلاقة القائمة بين صاحب الصورة وهو **الأمير عبد القادر** وبين الدّين الإسلامي و بين حب العلم والتّفقه في علوم الدين.

كما أنه يحاول ربما دعوتنا للتّعمق في النّظر حول هذه الشّخصية العريقة وإنجازاتها والحذو حذوه في بناء أسس الدولة إذ>> لم يكن اهتمام الأمير بالجيش فقط بل امتد إلى الميادين الأخرى وخاصة ميدان العدالة لعلمه بأنها العمود الفقري في بناء مجتمع

[1]- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1980 حتى ثورة نوفمبر 1954، ص37.
[2]- محمد بن شنوش، المقاومة الثقافية في الجزائر (1830- 1870) ، مجلة المصادر، ع19 ، الابيار- الجزائر، 2008 ص53.
[3]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني، ص، 35.

قوي متين كما اعتنت الحكومة بالتّعليم فشجعته ووضعت تحت تصرفه الكتب وأوقفت عليه الأراضي >>[1].

نجد في الرّواية إشارات واضحة أو ألفاظ صريحة لحالة التّعليم في تلك الفترة وكيف اتخذ الشّعب منه وسيلة للحفاظ على هويته وبالأخص الدينية والعربية، وذلك بالنسبة لمنطقة الغرب الجزائري والتي من خلالها ربما نستطيع التّعميم على بقية المناطق كما أن <<الانتفاضات في غالب الأحيان استجابة تلقائية للدعوة التي يوجهها رجال الدّين أو زعماء القبائل إلى الجهاد، لا تعلم الجماهير أسباب الانتفاضات ، ولا حقيقة الدعوة إلى الجهاد ، وإنما استجابت ثقة منها في علمائها وزعمائها >>[2].

ورد في الرواية ذكر شخصية الحاج "عبد القوي" الذي تعلق قلبه بالزوايا القرآنية منذ صباه، وهي حال كثير من الجزائريين فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد أدرك هؤلاء أهمية التّعليم وخاصّة الدّيني في مقاومة فرنسا التي سعت إلى تنصير الجزائريين والقضاء على مقوّمات هويتهم الإسلامية والعربية، لذلك عكفوا على حفظ القرآن وتعلّم اللغة العربيّة في الزوايا والكتاتيب، بعيدا عن المناهج الفرنسية في المدارس<< حفظ الحاج عبد القوي القرآن الكريم منذ طفولته بجامع سي لزرق بلخير، ثم استكمله بمدرسة الشيخ ميلود البوشعبي بقرية "تاوقريت"، ولم يستطع مواصلة دراسة الفقه المالكي بمدرسة "مازونة" ...الحرب العالمية الثانية قضت على حلم عبد القوي >>[3]

وبتحليلنا لهذا المقطع الّسردي نلاحظ أن والد البطل "أمحمد شعبان" كان متشبّعا بالثقافة الإسلامية والتي اكتسبها بفضل الزوايا التي تتلمذ على أيدي مشايخها وبالمقارنة بين الشيخ "عبد القوي" وابنه "أمحمد شعبان" نلاحظ بأنهما يمثلان جيلين مختلفين فالأول يمثل جيل اللّوحة والصّلصال والثّاني يمثّل جيل المحفظة والقلم، هذا من ناحية الاختلاف في طرق اكتساب العلم ولكن الهدف واحد.

[1]- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري، ص. 29.
[2]- محمد الطّيب،مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1980 حتى ثورة نوفمبر 1954، ص 65.
[3] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني، ص، 27- 28.

تمثل عائلة المنفي في الرواية مثالا حيا لصور المقاومة الثقافية من ناحية التزامهم بالتّعليم. يقول البطل "أمحمد شعبان"<< أما جدي الشيخ أمحمد المنفي، فكان عالما ومدرّسا شهيرا ، ومن قادة ثورة سيدي لزرق بلحاج >>[1] ، من هنا نستخلص أن مكانة العالم والمدرّس تعادل مكانة قائد الثورة فهو يقدم دعما في عملية التّعبئة الشّعبية للثّورات.

حاول الاستعمار في الفترة الممتدة ما بين 1883وإلى غاية 1919 إلحاق الأبناء الجزائريين بالمدرسة الفرنسية ، .غير أنّ هذا التّعليم بالنسبة للأهالي لم يطلبوه لأنه يعتبر تهديدا ضمنيا للقيم الثّقافية التي مازالوا يحملونها ويتمسكون بمدارسهم القرآنية وبالزوايا كمراكز إشعاع للعلم والمعرفة.[2] ومقاومة منهم للفكر الغربي والفرنسي على حد سواء ، كانوا مقتنعين بأن التعلم في المدارس الفرنسية هو ضرب للقيم والهوية والثقافة العربية ، وأن المحتل سيعمل على هدم هذه القيم، والعبارة التي قالها أحد الحكام خير دليل على ذلك <<لن نتوانى في هدم آثار الدّين واللّغة في قلوب وألسنة الأطفال>>[3].

اهتمت هذه المدارس بتعليم وتربية البنين والبنات اللغة العربية والدين الإسلامي ومبادئ العلوم والمعارف الأخرى <<وعندما أدرك الاستعمار الفرنسي أن انتشار اللغة العربية يشكل خطرا على وجوده في الجزائر ويقضي على مخططاته الهادفة إلى فرنسة الجزائريين والقضاء على أصالتهم ... لذا عملت على محاربة اللغة العربية بشتى الوسائل ومختلف الأساليب للحد من انتشارها>>[4].

[1] - المصدر نفسه ، ص ، 32.
[2]- صالح لمباركية ، المسرح والحركات الثقافية مع بداية القرن العشرين ، الملتقى الوطني الأول حول النقد الادبي الجزائري جامعة سطيف 2، 21 ماي 2006 ، ص. 152.
[3] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج3 ،دار البصائر ، الجزائر، 2007. ص 323.
[4]- محمد الطيب العلوي.مظاهر المقاومة الجزائرية.ص108.

2- المقاومة والشعر الشعبي:

نقصد بالمقاومة والشعر الشعبي، البعد عن الجانب العسكري وإتباع طريقة جديدة هي سلاح الفكر والقلم بتوظيف لغة بسيطة قريبة من الشعب تنقل آلامهم وتحثهم على الكفاح، باستغلال الجانب الفني الأدبي، وقد عرف الشعر الشعبي انتشارا واسعا، وامتدادا في كل بلاد المغرب العربي وليست الجزائر هي البلد الوحيد الذي انتشر فيها رواج هذا الفن التّعبيري.

ولذلك<< لعبت القصيدة الشعبية، أو الشعر الشعبي دورا في المقاومة الثقافية، ولعب المداح دورا في إيصال هذه الأشعار سواء عن طريق الأسواق أو المقاهي أو الأعراس وكانت هذه الأشعار تثير الحماس لدى الجزائريين، وتعزّز لديهم روح المقاومة>>[1].

لم تتوفر للشّعب في تلك الفترة وسائل النشر والكتابة والطباعة، لذاك استند على الشعر الشعبي لدعم قضيته الكبرى، والتّعبير على حاله من خلال تلك الأشعار التي كانوا ينظمونها و يعبرون فيها عن معاناتهم وعن آلامهم وأمالهم، فهو << يعبر عن نفسه من خلال شكل خاص من أشكال التّعبير الأدبي... فاضطرته الظروف الاستعمارية من كبت لحرية النشر والكتابة إلى استخدام الشعر الشعبي الذي يستعصي على منال السلطات الاستعمارية>>[2].

وقد كثرت الأشعار الشعبية ونظموها في تلك الفترة لسببين رئيسين، أما الأول فكان لسهولته فهو<< يتواتر من الأفواه إلى الأسماع دون أن يودع قالبا مكتوبا قط على وجه التقريب، وثانيا لأنه ينظم بالعربية أو البربرية، وهما اللغتان الوطنيتان اللتان يزدريهما المحتل ازدراءً لا يعني معه أن يتعلمها .>>[3]

بقول **مولود فرعون**<< إن الظروف الحرجة التي ظهر فيها هذا الشعر لم تسمح له بأن يزهر ويتطور فظلّ شعبيا، وبقي في أغلب الأحيان قريبا من الأشياء والأحداث في

[1]- محمد الصالح الجابري: الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل، دط،الجزائر، 2009، ص. 39.
[2]- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري ، ص 44.
[3]- المرجع نفسه، ص44.

أكثر سماتها خصوصية، فقد تتبع الغزو الفرنسي خطوة بخطوة، وعلّق عليه ، يلهج بالانتصارات ، ويرثي الهزائم، أدنى حدث تتولد عنه حكاية، ...كان مشكاة ينقلها الشعراء المتجولون المعروفين باسم المدّاحين من قبيلة إلى أخرى ومن سوق إلى آخر، وتتجمع الجماهير حولهم في حلقات من التّواصل الحقيقي>>[1]

وطول قرن كامل من الزمان كان الشعر الشعبي إلى جانب شعر اللغة العربية الفصحى<< يؤرخ بالأسلوب الوطني لكل الأحداث التي وقعت في بلاد المغرب العربي الكبير ويصحح على نحو تلقائي وعفوي كل الأكاذيب...كان يعمل على إنصاف الحقائق وكشف جرائم الصمت التي كانت تقترفها الصحافة الاستعمارية الخاضعة للأوامر>>[2]

ومن بين الأشعار الواردة في الرّواية، والتي تناولت التاريخ البطولي ووصفت المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري وخاصة الثوار المنفيين في بلاد كاليدونيا قصيدة **بيَ ضاق المور**: للشاعر **عبد القادر بوراس** والتي تتجلى فيها للسامع معاناة منفيين ، حيث يكشف الشاعر فيها عن الماضي المظلم للدولة التي لطالما تغنت بشعارات مزيفة منها العدل والمساواة للجميع، يقول الشاعر :

<<لو كانْ بْكيتِ بْطالْ تلْقى في صهْدْ الجمْهُورْ ** بيّ ضاقْ الْمُورْ

هما عزْالْمَضْيومْ يُوكْدوُا في اليومْ الْمُعْتادْ

لو كان بكيتِ بْطالْ نُعْرَة اللي مَحْقُورْ ** بي ضاق المور

يَمْشوا عُنْفِية قبال العْدُو واللّي حُسَادْ

لوكان بكيتِ بطالْ ظلْما بَسْلاحْ تْجُورْ ** بي ضاق المور

ويح لي عداهُمْ شَرّبوهْكيُوسْالتَنْكَادْ

لو كان بْكيتِأبْطالْرفْدُوهُمْ في بابُورْ ** بي ضاق المور

[1] - المرجع نفسه، ص.44.
[2] - المرجع نفسه ، ص .44 -45.

راهُمْ شَقْ البحورْدارْقينْ وخْبَرهم ينْعادْ

راهم مسْجُونينْ في جْزيرَة في وسْطْ بْحورْ** بيّ ضاقْ الْمُورْ

عليهم الباب والقفلْ مْعَمْد تعْمادْ

عيْطة ناسْ مْسَلْسَلينْ يتْمشُوا بالكورْ ** بيّ ضاقْ الْمُورْ

جيشْ الرُومْ معذْبهُم مَنْ بَكْري حقَّادْ>>[1]

بالإضافة إلى قصيدة **محمد بلخير** بعنوان **(سلاك المغبون)**التي عبّر فيها عن الأحوال الصعبة للجزائريين المنفيين في السجون والبلدان البعيدة والتي يقول فيها :

<<سلكنا ياخالقي من جارْ الجارْ

حبْسْ الرُومي لا تْخَلي مَسْلمْ فيه

ويولي الحْبسْ عندي إلأَتفْكارْ

وطنْ العزْ نْجيهْ والذَّلْنْخَليهْ>>[2]

بالإضافة إلى قصيدة أخرى أتى على ذكرها وهي للشاعر نفسه بعنوان **"يا سايلني"** والتي جاء ببيتين منها يقول الشاعر فيها :

<<راني في (كالّفي) مجول ** أنا والشيخ (بن دوينه) مرْهُونِينْ

فيوَكْ يا خالْقي تْعوَلْ **من برْ الرُومْ تْفكْ من البحْرينْ>>.[3]

الشعر الشعبي الذي ظهر ابتداء من سنة 1850م، والذي كان يدعو للمقاومة وكان بمثابة الصّرخة المزعجة في وجه الاستعمار، أثار الحماس الشّعبي بتذكير الجماهير بماضيها وقيمها، كالشجاعة والجهاد ولم يكن للشعر الشعبي مدرسة ينسب إليها أو حركة

[1]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 42- 43.
[2]المصدر نفسه ، ص.98.
[3]- المصدر نفسه ص. 98.

يتقيّد بخطتها، كان المتجول الأبدي الذي يعقد حلقات الإنشاد في كل مدينة أو قرية، فارا من الرقابة العسكرية الفرنسية، وقد يبدو هذا النّوع من الثّقافة الشّعبية تافها إذا قيسّ بميزان العقّل، لكنّه غيرّ ذلك إذا علمّنا أنّ هذه الثّقافة الجماهيريّة كانت تقريبا آخر ملجأ لإنقاذ ما تبقى من مقومات الأمة.[1]

إنّ بطولة هؤلاء الشّعراء الشّعبيين كانت تتلخّص في صرختهم الثّورية ، حينما سكت الفقهاء ورجال الدّين ولم تكن ترمي إلى تثقيف الناس ولكنها كانت تهدف إلى إثارة الحماس وبعث الأمل في الأمة بكل الوسائل وبالأسطورة على وجه الخصوص لأنها أثبت في الخيال وأقوى ارتكازا في عواطف الشعب، لأجل ذلك أنزله الاستعمار الفرنسي إلى الدرك الأسفل من الأمية .[2]

ولعل هذا السّبب هو الذي جعل الروائي **محمد مفلاح** يذكر لنا بعضا من القصائد الشعبية وبعضا من الشعراء، وهذا لأجل إبراز منزله الأدب بشكل عام والشعر منه في المقاومة الثّقافية ، والدعوة إلى النظر في قصائدهم من جانب أخر لعلّ الباحث والقارئ يكتشف التاريخ المنسيّ والمسكوت عنه في هذه النّصوص الشعريّة

3- المقاومة من خلال التّمسك بالعادات والتقاليد :

تعتبر العادات والتقاليد من بين أهم أسس المنظومة الثقافية للدول قاطبة، فبوجودها توجد الهوية الثقافية، كما أنها تثبت وجود مقومات هذا المجتمع. << يتأثر الإنسان بعادات وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه فتشكل هذه التقاليد سلوكه وتفكيره وتوجهه إلى ما تعارف عليه المجتمع وما اعتاده، والعادات والتقاليد يتوارثهما الإنسان من آباءه وأجداده ، تتعرض خلال أجيال لبعض التغيرات وإن كانت طفيفة >>[3] ، وبذلك يتبين لنا بأن العادات والتقاليد هي في الحقيقة عبارة عن نسق ثقافي موجود من الأزل متوارث جيلا عن جيل، وهي تعبير واضح عن هوية مجتمع ما ومن خلالها يمكن الوصول إلى ثقافة المقاومة.

---

[1]-محمد بن شوش ، المقاومة الثقافية في الجزائر (1830-1870) ، مجلة المصادر،ع19، الجزائر، (دت) ص ،81 82.
[2]- محمد بن شوش ، المقاومة الثقافية في الجزائر (1830-1870)، ص 82.
[3]- أحمد زايد وآخرون ، بحوث في الأنثروبولجيا العربية ، مركز البحث والدراسات الاجتماعية، ط1، القاهرة- مصر، 2002 ، ص586..

تأتي رواية "شبح الكاليدوني" لتعبر في متنها عن أهم العادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع الجزائري واتي ترتبط في أكثرها بالعقيدة الإسلامية من مثل : <<السهر في خيم المعزين حول حلقة الطلبة (حفظة القرآن) أو حلقة ذكر الجلالة>>[1]، نلاحظ في هذا المقطع السردي محافظة الشعب الجزائري على ظاهرة الالتفاف حول خيم المعزين لتلاوة القرآن الكريم ، هذه الظاهرة انتشرت في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر بكثرة والهدف منها المحافظة على الدين الإسلامي والقرآن بصفة خاصة .

تعبر رواية "شبح الكاليدوني"عن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري وخاصة الغرب الجزائري وتمسكه بها والذود عنها، لتكون تحولا في تاريخ المقاومة الثقافية، وليحاول الروائي أن يخرج بها عن نطاق الثورة فقط ، فتكون المقاومة الثقافية صالحة في كل زمان ومكان فهاهو البطل "امحمد شعبان" يذكرنا بواسطة الحلم الذي رآه كيف كان الشّعب يبحث عن أسباب التمسك بحبل الله، وذاك من خلال إصراره على معرفة تفسير القرآن من أبيه الذي نصحه << بأداء الصلاة في وقتها وقراءة القرآن الكريم وزيارة ضريح سيدي "امحمد بن عودة". وإخراج الصّدقات >>[2].

هذه العادات قد ساهمت في جعل الشعب أكثر تمسكا وقربا خاصة في المناسبات المعلومة <<لكنه ظل مداوما على قراءة الحزب الراتب في جامع الشاكرين، وعلى زيارة زاوية حي العبادة أيام الجمعة>>[3] يتضح من خلال هذا المقطع السردي بأن اختلاف الزمن من العهد الكولونيالي وحتى هذا اللحظة لا يشكل فارقا من ناحية التمسك بالعادات وخاصة الحفاظ على قراءة القرآن وحفظه في المساجد والكتاتيب منذ الصغر، حيث إن الأغلبية من سكان الجزائر لا زالوا يحافظون علي ذلك.

حتى النسوة قد حضين بهذه الممارسة فلم تكن مقتصرة على الرجال وحدهم ، ولكل منهن سبب وجيه لزيارة أماكن العبادة والمقابر، حتى أنهن جعلنها ملتقى للخِطبة ونجد هذه الممارسة لهذا السبب واضحةً في الرواية من خلال سكرتيرة البطل امحمد شعبان

[1] - محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ،ص 16.
[2] - المصدر نفسه، ص19.
[3] - شبح الكاليدوني، ص 20.

إذ <<أنه سمع أنها تقصد مقرات الرقاة وأضرحة الأولياء، وتزور مقبرة سيدي عبد القادر أيام الجمعة والأعياد الدينية >>[1]فالمقبرة في المجتمع الإسلامي ليس مكانا لدفن الموتى فقط وإنما هي أيضا مكان للتواصل الروحي مع الله ، والتواصل مع الموتى ، وحتى مع الأحياء .

أشكال المقاومة الثقافية بادية فيالعديد من أفكار الرواية وسطورها مثل التمسك بالتراث القديم ، من خلال الدّوار الذي زاره البطل امحمد شعبان ، فسكانه لم تغرهم المدينة وأشكالها التي بناها المستعمر، فهم لا يزالون يفترشون الزرابي المزركشة، ولا يزالون يرتدون العمامة العربية الأصيلة.

3-أ – اللّباس التقليدي:

يعتبر اللباس من بين المقومات التي بها تتحدد طبيعة الثقافة لمجتمع ما ، والتي منها يمكن التعرف على البيئة الخاصة بمرتديها << يمكننا أن نقرأ اللباس الذي يلبسه الناس لا بوصفه قيمة معايشة ضرورية . وإنما صورة ثقافية لها معانيها ولها دلالاتها . وتحمل ألوانها المتشابهة >>[2]وبهذا يتحدد لنا أن اللباس يمثل لنا صورة تعبر عن نسق ثقافي معين. وهذا اللباس يتخذ لنا شكلا من أشكال الثقافة ، ويحددها وفق النمط السائد والمعمول به .

فالإشارة إلى نوع من أنواع اللباس في أي عمل روائي تحمل إيحاءات ودلالات تحمل معنى سحيق يتحدد فيه الذوق والهوية الثقافية << إن الملابس من حيث هي وسيلة اتصال يمكن أن تقول الكثير عن لابسها... الانتماء إلى جماعة مثل الأصل العرقي أو الدين أو الثقافة الفرعية ويمكن أن تعبر عن حقائق فرعية مثل الجنس والعمر والحالة الزوجية وعدد الأطفال والمكانة الاجتماعية والثروة .>>[3]. وبذلك تعتبر جزءاً لا يتجزأ من عناصر الثقافة، ومنه التمسك باللباس الأصيل التقليدي هو تمسك بالثقافة << لكل ثقافة

[1] - المصدر نفسه ، ص25.
[2]- عبد الله الغذامي، الثقافة التلّيفزيونية، المركزالثقافيالعربي ، سقوطالنخبةوبروزالشعبي، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2005 ، ص99- 98.
[3]- أجدر فوح ، الانتخاب الثقافي تر: شوقي جلال ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ، بيروت-لبنان، 2005. ص.277.

نظامها الدلالي الخاص الذي تعبر عبره عن تلك الدلالات ، فاللباس مثلا هو عامل ثقافي ، حيث يرتبط في شكله وحجمه ، ولونه وطريقة ارتداءه بثقافة معينة .>>[1]

و يمكن القول إنّ اللباس، هو من بين العناصر التي بها يمكن أن نقاوم وأن نتمسك بهويتنا الثقافية، وعلى الرغم من احتلال الجزائر لسنوات طوال إلا أن هذا الشعب لازال محتفظا بلباسه الذي يمثل هويته، وبذلك اكتسب اللباس وظيفة جديدة غير الوقاية من البرد والحر وستر الجسم، وظيفة أكثر حساسية، وظيفة وطنية دفاعا عن المعتقد، الجنس، النوع والثقافة فهو رمز من رموز المقاومة الثقافية.

عبّر **"محمد مفلاح"** عن هذا النسق الثقافي المهم ووظفه وأظهره للعلن، ونلمس ذلك في مقاطع سردية متفاوتة في المتن الروائي مثل<<رأى رجالا أمام الباب الحديدي والسور السميك ، هؤلاء المعزون الواقفون في خشوع ، كانوا يرتدون العباءات البيضاء ويعتمرون القبعات البيضاء أيضا ، كأنهم يعلنون عن صفاء سرائرهم أمام الله ونعش الميت وضريح سيدي عبد القادر...>>[2]هذا اللباس هو علامة فارقة به نميز بين الأفراد المسلمين وغيرهم ، فهو يمثل البعد الديني والهوية الدينية للّابس. << وحين دخل جامعها العتيق وجد رجالا بألبستهم البيضاء ملتفين حول الشيخ "سي العباس" وهو شيخ سبعيني قوي البنية، يضع على كتفيه برنسا أبيض ، وبيمناه اليمنى سبحة خضراء كان يحرك حباتها بهدوء، وبجانبه جلس كهل أنيق يرتدي عباءة فوقية فضفاضة وسروالا عربيا، وعمامة "كنبوش" ، علم من الشيخ البودالي أنه إمام الجامع >>[3]

من خلال هذا المقطع يتضح لنا بأن رجال الدين من المسلمين الجزائريين لهم لباسهم الخاص والذي به يعرفون به، فالقوم اجتمعوا وتواضعوا عليه، ومنه نستطيع التمييز بينهم وبين الأشخاص العاديين،وهذا اللباس هو ورثة الأحفاد من الأجداد.وعلى الرغم من المدة الطويلة التي مكث فيها المحتل محاولا سحق هذه الهوية إلاّ انه لم يتمكن

[1]- بن علي لونيس، الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجيإلى الانفتاح الحواري،قراءة في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ضمن كتاب المحكي الروائي ، أسئلة الذات والمجتمع ، الدار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2014، ص.175 .

[2]- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني ، ص 19.

[3]- المصدر نفسه، ص109..

من ذلك فالزمن اختلف والعادات بقيت تفرض سلطتها الاجتماعية والثقافية على المجتمع الجزائري.

خـــاتمـــة

وبهذا وصلنا إلى طي آخر صفحة من صفحات هذا البحث، والتي لن تكون الأخيرة بإذن الله في مسيرتنا، ولا الأخيرة في هذا البحث فهو قد يفتح آفاقا جديدة للبحث والدّراسة ، وفي نهاية هذا البحث يمكن أن نستعرض أهم النّتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدّراسة.

1- بقوم البناء السّردي لرواية "شبح الكاليدوني" على عقد علاقة تكاملية بين واقعية التّاريخ وفنّية المتخيّل لينتج نصا سرديا منفتحا على القراءة والتّأويل.

2- الرّواية في مضمونها لا تتّجه إلى الماضي من أجل كتابة التّاريخ ، بل بغية طرح تساؤل وبحث عن الأحداث والحقيقة المسكوت عنها.

3- قام الرّوائي بتوظيف ثلاث فترات زمنية مختلفة وهي : الماضي المتمثل في زمن المقاومة الشّعبية وعملية نفي لأبرز زعمائها، والحاضر والذي مثّله من خلال الشّخصية المحورية "امحمد شعبان" ، وقدم لنا نظرة استشرافيّة للمستقبل من خلال إبقاء نص الرّواية مفتوحا حول مصير هذا الشّاب الذي قرر ترك بلاده وتوجه نحو ماضي الأجداد القاسي (بلاد الكاليدونيا الجديدة) فهل ستكون موطنا لهجرة الأحفاد مستقبلا .

4- المزج بين المتخيّل والتّاريخي في الرّواية أثرى النّص الروائي وساهم في الكشف عما لم يقله التّاريخ، وكشفه السّرد التّاريخي عندما اتخذ من التّاريخ مرجعية لقراء الحاضر والمستقبل.

5- تعتبر المقاومة الثّقافية وسيلة من وسائل الدّفاع عن قضايا الأمة وثوابتها، ورموزها .....واتّخذ منها الرّوائيون قضية لبناء رواياتهم وقصصهم وهذا من أجل إحياء الثقافة الوطنية، والمحافظة على الهوية الثّقافية للمجتمع الجزائري. ويعتبر الرّوائي والباحث الجزائري **محمد مفلاح**، من الرّوائيين المعاصرين الذين سخّروا موهبتهم وأقلامهم للدّفاع عن وطنهم، للمحافظة على ما بقى من ثقافة وتراث وعادات تحمل الماضي المثقل بالآلام، الماضي وجروحه وما تركه المستعمر من خلفه .

6- للمقاومة الثقافية أكثر من صورة وأكثر من وسيلة ، ولعل أهم عنصر يمكن أن تتلخص فيه وترتكز عليه هو الجانب التّعليمي، لما له من أهمية في عملية بناء المجتمع والمحافظة على ثقافته وخصوصيته، وهي دافع أصيل لعملية التعبئة الشعبية للثورة ضد المستعمر.

7- للشّعر الشّعبي مكانته وأهميته، نظرا الدور الذي لعبه في فترة الاستعمار، كما انه يعتبر اسطوانة فنية حية حافظة لذاكرة الثّورة والأحداث الماضية.

8- العادات والتّقاليد هي من بين المكوّنات الرئيسية للثّقافة والتي حاول الرّوائي إبرازها أو إبراز جانب منها، والذي مثل لنا جزءا من ثقافة المقاومة.

9- للّباس دوره وفعاليته أيضا في المحافظة على هوية الفرد وثقافته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. المصادر :

1- محمد مفلاح ، شبح الكاليدوني، دار المنتهى، ط1، الجزائر ،2015.

2- المراجع :

أ. المراجع باللّغة العربية :

1. أحمد زايد وآخرون ، بحوث في الأنثروبولجيا العربية، مركز البحث والدراسات الاجتماعية، ط1، القاهرة- مصر 2002.
2. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج3 ،دار البصائر ، الجزائر / 2007.
3. بن علي لونيس، الهوية الثقافية من الانغلاق الإيديولوجي إلى الانفتاح الحواري ،قراءة في رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك ، ضمن كتاب المحكي الروائي ، أسئلة الذات والمجتمع ، الدار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2014.
4. رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، 1931-1956، الشركة الوطنية لنشر ، ط1 ،الجزائر 1973 .
5. زرغب صبيحة عودة ، غسان كنفاني ، جماليات السرد في الخطاب الروائي ، دار مجلاوي ، (دط)، عمان- الأردن ، 2006.
6. حميد عبد الوهاب البدراني ، الشخصية الإشكالية (مقاربة سوسيو ثقافية في خطاب أحلام مستغانمي) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الأردن. 2013 - 2014.
7. حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، المركز الثقافي العربي ، ط2. الدار البيضاء-المغرب ، 2009 .
8. جودت بن وآخرون، مدخل علم النفس، مكتبة دار الثقافة لنشر والتوزيع ، الدار العلمية الدولية ، ط1، الأردن، 2008.

9. حمد الصالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل، (دط) ،الجزائر، 2009.
10. سيزا قاسم ، بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، القاهرة – مصر ، 1984.
11. سعيد يقطين ، الكلام والخبر –مقدمة السرد العربي – المركز الثقافي العربي ، ط1 ،بيروت . الدار البيضاء-المغرب . 1997 .
12. عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري .
13. عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، المؤسسة العمومية لدراسات والنشر ، ط3 ،بيروت - لبنان ، 2001م.
14. عبد الرحمن بن أحمد التيجاني، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900-1977، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية،دط، الجزائر،1983.
15. عبد الله الغذامي، الثقافة التليفزيونية ، المركز الثقافي العربي، ط2، سقوط النخبة وبروز الشعبي ، المركز الثقافي العربي، المغرب ، 2005 .
16. عز الدين مناصرة ، النقد الثقافي المقارن (منظور جدلي تفكيكي) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،ط1، عمان - الأردن ، 2005م.
17. عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون(المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ، دار الفكر للطباعة والنشر (دط) بيروت - لبنان ، 2004.
18. عبد الله ابراهيم ، المتخيل السردي – مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت – لبنان ، 1990.
19. لينة عوض ؛ تجربة الطاهر وطار (بين الاديولوجيا وجماليات الرواية) عمان 2004.
20. ضياء غني لفته ، البنية السردية في شعر الصعاليك ، دار حامد ، (دط) ، عمان-الأردن ، 2009 .
21. مالك بن نبي .مشكلة الثقافة، دار الوعي، ط3 ،الجزائر،2013

22. محمد القاضي ، الرواية والتاريخ – دراسات في التخييل المرجعي ، دار المعرفة لنشر ، ط1 ، تونس ، 2008.
23. محمد مفتاح، دينامية النص- تنظير وانجاز المركز الثقافي العربي ط 2،، بيروت-لبنان،1990.
24. محمد الصالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل، دط الجزائر،2009.
25. محمد الطيب ،مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1980 حتى ثورة نوفمبر 1954، دار البعث للطباعة والنشر ط 1، قسنطينة -الجزائر ، 1985-1406هـ .
26. محمد الشحات ، سرديات المنفى الرواية العربية من بعد 1927م ، أربن لنشر والتوزيع ، ط1 ، الأردن ، 2006 م .
27. مصطفى التواتي ، دراسة في روايات نجيب محفوظ (اللص والكلاب ، الطريق شحاذة) ط1 ، الدار التونسية للنشر تونس 1986.
28. نظال الشمالي ، الرواية والتاريخ ، عالم الكتب الحديثة ، ط1، عمان -الأردن 2006.
29. نور الدين صدوق، البداية في النص الروائي، دار الحوار، ط 1، اللاذقية/ سوريا 1994.

ب. المراجع المترجمة :

1. أجدر فوح ، الانتخاب الثقافي تر: شوقي جلال ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 بيروت- لبنان، 2005.
2. إدوارد سعيد ، تأملات حول المنفى 1، تر: ثائر ديب ، دار الآداب لنشر والتوزيع ط2 ،بيروت- لبنان، 2007 .
3. إدوارد سعيد (صور المثقف) تر: غسان غصن ، دار النهار للنشر والتوزيع ، دط ،بيروت- لبنان ، 1996.
4. بول ريكور ، الذاكرة ، التاريخ ، تر: جورج زنياتي ، دار الكتب الجديدة ط1،بيروت لبنان ، 2009 .

5. بول ريكور ، الزمان والسرد (الحبكة والسرد التاريخي) ج3 ، تر: فلاح رحيم دار الكتاب الجديدة ط2، بيروت – لبنان، 2006م.
6. جورج لوكاتش، الرواية التاريخية ، تر صالح جواد الكاظم ، دار الطليعة ، ط1. بيروت لبنان ، 1978 .
7. روبرت شولز، سيمياء النص الشعري، اللّغة والخطاب الأدبي، تر: سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء- المغرب، ، 1993.
8. كليفورد غيرتر، تأويل الثقافات ، مقالات مختارة ، تر: محمد بدوي ، المنظمة العربية للترجمة ط1 ، بيروت - لبنان ، 2009.

ج. المراجع باللّغة الفرنسية :

1. Jean –Michel –Adam , le récit, Edition , P ;U,F , paris 2éme édition ; 1989.p.9.

د. المعاجم :

1. اندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية المجلد 2، تر: خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ط2، بيروت – باريس، 2001.
2. جميل سيليا ، المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية ، الفرنسية . الانجليزية) ج2 الشركة العالمية للكتاب (دط) ، لبنان ، 1994.

ه. المقالات والدوريات:

1. أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، ع28 ، جامعة بابل- العراق، 2016 .
2. إدريس الخضراوي ، السرد موضوعا للدراسات الثقافية ، نحو فهم لعلاقة الرواية بجدلية السيطرة والمقاومة الثقافية ، مجلة تبيين ، ع، 217، الجزائر، 2014 .
3. إدوارد سعيد ، تأملات في المنفى ، تر: نهاد سالم ، مجلة الكرمل ،ع 16 ، فلسطين 1994 .

4. جويدة غانم الرؤى النقدية و الاستشرافية للكولونيالية وما بعدها بين شكيب أرسلان وإدوارد سعيد ، مجلة تبين ، ع 5/17 . الجزائر ، صيف 2016
5. رحيم عبد القادر، وظائف العنوان في شعر مصطفى الغماري، مجلة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب ع4، جامعة بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة- الجزائر، 2008.
6. سليم سعدلي ، مساءلة الموتى وإحياء ذاكرة المنفى قراءة في رواية شبح الكاليدوني لمحمد مفلاح ، مجلة جامعة برج بوعريريج ، ع3، الجزائر، جوان 2019 .
7. فخري صالح ، معنى أدب المنفى ، مجلة الكلمة ، ع10، الجزائر، أكتوبر 2007.
8. محمد بن شنوش، المقاومة الثقافية في الجزائر (1830- 1870) ، مجلة المصادر،ع 19، الابيار- الجزائر، 2008.
9. سفيان لوصيف .المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي –مظاهر والانعكاس –مجلة التاريخية الجزائرية، ع03، الجزائر، جوان2017.
10. علال ركوك ، أدب المقاومة المغربية في بعض المصادر الجانبية ، مجلة البحث العلمي ، ع47 ، الرباط – المغرب ، 2001.

و-المواقع الالكترونية:

1. جمال ناجي، الرواية والزمن وفوضى ترويج الرداءة ، جريدة القدس العربية يومية سياسية مستقلة ، 27 أكتوبر 2014. http://www.alquds.com.
2. عبد القادر الرياحي ، ثورة العامري سنوات 74و75ومقاومته قبائل البوزايدي الأشراف بالزاب الغربي ببسكرة للاحتلال الفرنسي للجزائر ومحاولته التوسع نحو الجنوب .07.02. 2020 أخذ يوم 10. 02 .2020. 7.50د. WWW.FACE // BOOK.COM
3. مصطفى المسعودي ، من نحن في زمن التحولات الكبرى؟ سؤال الهوية الحضارية :السياق المغربي نموذجا ، دار ناشري للنشر الالكتروني (د،ط) ، أكتوبر 2012. .WW. Nashiri. Net

ز- الرسائل الجامعية :

1. صافية سلامي ، رؤية التاريخ في رواية شعلة المايدة ل: محمد مفلاح ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، إشراف صفية علية ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013،2014.
2. عبدون زكية ، التمثلات الثقافية لسؤال الهوية في رواية القاهرة الصغيرة لعمارة لخوص " مقاربة نقد ثقافية ، مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي ، تخصص أدب جزائري ، إشراف الأستاذ ، بن علي لونيس ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية – الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، السنة الجامعية 2015/2014

ر- الجرائد والصحف :

1. الحاجي خديجة ، جديد الروائي والباحث محمد مفلاح << رواية شبح الكاليدوني >>... صورة عن معاناة المنفيين من قبل الاستعمار ، جريدة الجمهورية ، النادي الأدبي العدد 5710، الاثنين 19 محرم 1437هـ الموافق ل02 نوفمبر 2015م .
2. عبد الحميد بورايو ، ثنائية وإشكالية الكتابة والمنفى ، جريدة النصر 15 يناير 2019.
3. وليد بوعديلة ، الرواية بين الذاكرة والراهن ؛ رواية شبح الكاليدوني والنفي الاستعماري للجزائريين ، جريدة الحوار ، ع3478، الأحد 19 أوت 2018م الموافق ل 08 ذو الحجة 1439 هـ .

ي- الملتقيات :

1. صالح لمباركية، المسرح والحركات الثقافية مع بداية القرن العشرين ، الملتقى الوطني الأول حول النقد الأدبي الجزائري ، جامعة سطيف 2، 21 ماي 2006 .

ملاحق

1/ملخص مضمون الرواية :

رواية "شبح الكاليدوني" لمحمد مفلاح ، من بين الروايات التي تطرقت للتاريخ ، من خلال سرد بعض الأحداث التاريخية، التي كانت خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، إبان المقاومات الشعبية الأولى من مثل مقاومة الأمير عبد القادر ومقاومة الشيخ لزرق بلحاج.

وقد ركزت الرواية على قضية مهمة قد أغفلها المؤرخون والسلطات والمثقفون الجزائريون ؛ وهي قضية المنفيين إلى جزيرة "كاليدونيا" من خلال البطل "امحمد شعبان" الذي حاول البحث عن تاريخ أجداده وعن قبر جده الشيخ "امحمد الكاليدوني" .

يعود الروائي محمد مفلاح في روايته "شبح الكليدوني" إلى حكايات الجزائريين الذين نفاهم الاستعمار الفرنسي إلى جزيرة "كاليدونيا" في المحيط الهادي، بالقرب من أستراليا، ويرحل بالقارئ في سرديات المنفى ليكتب التّاريخ الفني للمنفى الاستعماري وتفاعل أحفاد المنفيين مع ذاكرة الأجداد في حياتهم اليومية الاجتماعية، كما أن الروائي يقترب من أسئلة جزائر اليوم.

تنطلق الرّواية من تتبع السّارد ليوميات الشخصية السّردية "امحمد شعبان" وهو موظف في قطاع الثقافة يعاني من مشاكل اجتماعية كثيرة ، يضيف الروائي لها الصراعات النفسية - الفكرية- التاريخية ومحاصرة الماضي له. فكل يوم وعبر كل فكرة أو خاطرة نجده محاصرا بصور والد جده الشيخ "محمد الكاليدوني"، بخاصة في ظل حرص والده على السعي للوصول إلى قبر الجد الذي نفته فرنسا في ستينات القرن التاسع عشر، حيث كان الاستعمار ينفي المقاومين والمعارضين لسياساته وممارساته القمعية والوحشية، وتتساءل الرواية عن أسباب إهمال المؤرخين للمنفيين في "كاليدونيا".

نقل نص الرواية الوضع الراهن للجزائر من عدة جوانب؛ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ولم يغفل الشأن العربي، محاولا بذلك أن يظهر طبيعة العلاقات الاجتماعية في الجزائر، وكذلك بعض الممارسات السّياسية المحلية والوطنية، كما لا ينسى الشأن العربي والدولي وتأثيرات الربيع العربي والخراب القيمي والمادي الذي تشهده الخارطة العربية.

تتناول الرواية أيضا بعض القضايا الراهنة للمجتمع الجزائري مثل أزمة السكن والبطالة وسطوة المال على السّياسة، وبعض الظواهر الاجتماعية السلبية مثل سرقة السيارات و أزمة المقابر، كما يذكرنا بجزائر العشرية السوداء وسنوات الدم والنار والتطرف والاغتيال.

تدعو الرواية إلى دراسة التّاريخ المحلي وحفظه وصيانته، والابتعاد عن الطرح الأيديولوجي الضيق والموقف السّياسي المنغلق، قبل فوات الأوان، وقبل أن يجد الوطن نفسه أمام أبناء من غير ذاكرة ومن غير قيم.

2/ التعريف بالرّوائي " محمد مفلاح"

هو روائي وقاص وباحث في التاريخ والتراث، من مواليد 28 ديسمبر 1953 ، بولاية غليزان، أنجز العديد من الأعمال الإبداعية والأبحاث المتعلقة بتاريخ وتراث مدينة غليزان، وهو اليوم بعد تقاعده متفرغ للكتابة الإبداعية والبحث في تاريخ منطقة غليزان وتراثها الثقافي، شرع في نشر مقالاته الأدبية منذ السبعينيات من القرن الماضي بملحق "الشعب الثقافي " الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار، وفي الفترة ذاتها ظهرت له العديد من القصص القصيرة بالجرائد والمجلاّت الوطنّية ، وقد نشر بعضها سنة 1983، ومازال يسيل حبره أعمالا إبداعية إلى يومنا هذا .

إصداراته:

أولا – في الرواية الجزائرية :

1- الانفجار ط1 سنة 1983 أمّا الثانية فكانت سنة 1984.

2- بيت الحمراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986

3- زمن العشق والأخطار، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986 .

4- هموم الزمن الفلاقي، مجلّة الوحدة ، ط1، 1984.

5- الانهيار، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986.

6- خيرة والجبال، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986.

7- الكافية والوشّام ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، ط1 2002، ودار المعرفة ، الجزائر ، ط2 ،2009.

8- الوساوس الغربية ، دار الحكمة ، 2005.

9- عائلة من فخار ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ط1 2008.

10- شعلة المايدة ، دار طليطلة ، ط1،2010.

11-هوامش الرحلة الخيرة ، دار الكتب ، ط1،2013.

12-همس الرمادي ، دار الكتب ، ط1، 2013.

13- سفر السالكين ، دار الكوثر ، ط1، 2014.

ثانيا : في القصة القصيرة :

1- مجموعة السائق ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1، 1983.

2- مجموعة أسرار المدينة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،ط1، 1991.

3- الكراسي الشرسة (قصص) ، منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر ،2009.

4- قصص الهواجس والأسرار الصّغيرة، تضّم المجاميع القصصية الثلاث ، صدرت عن دار الكوثر ، 2013.

ثالثا : قصص للأطفال والفتيان :

1- معطف القط مينوش ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،ط1، 1990.

2- مغامرات النملة كحيلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط1، 1990.

3- وصيّة الشيخ مسعود ، ط1، المؤسسة الوطنية للنشر والصحافة (إناب) 1992.

4- اللؤلؤة ، دار الساحل ، ط1، 2013.

5- قصص الحيوانات ، دار قرطبة ، ط1، 2013.

رابعا : كتب في التاريخ والتراجم :

1- شهادة نقابي ، دار الحكمة ، 2005.

2- سيدي الأزرق بلحاج رائد ثورة 1864 المندلعة في منطقة غليزان ، دار هومة ، 2005.

3- أعلام من منطقة غليزان ،دار هومة ،2006.

4- شعراء الملحون بمنطقة غليزان (تراجم ونصوص) ، دار هومة ، سنة 2008.

5- غيليزان : مقاومات وثورات من 1500إلى 1914 ، دار الأديب سنة 2010.

6- مراكز التعليم العربي الحر في مدينة غيليزان ، دار قرطبة ، سنة 2011.

7- جمعية علماء المسلمين الجزائريين ، دار قرطبة ، سنة 2011.

8- من تاريخ الطريقة الرحمانية في منطقة غليزان وضواحيها دار القدس العربي ، سنة 2014.

9- تجربة في الكتابة ، دار الكوثر ، سنة 2015.

فهرس الموضوعات

البسملة

شكر وعرفان

إهداء يمينة

إهداء أميرة

مقدمة:..... أ-ج

مدخل 15-7

الفصل الأول : قضايا وتجليات السرد التاريخي في رواية شبح الكاليدوني 16

1- قراءة في عتبة العنوان 18-17

المبحث الأول : سرد التاريخ الكولونيالي في الرواية من خلال الشخصيات والزمان....19

1- الشخصيات 20

1-1- الشخصيات التاريخية الموثّقة الغير الفاعلة 23-21

1-2- الشخصيات المتخيلة الفاعلة في الرواية 28-24

2- **الزمن الرّوائي في السرد التاريخي وتوظيفه في الرواية** 30-28

2-1- أهم القضايا التاريخية الموظفة في الرواية 33-30

المبحث الثاني : سرد المنفى واستدعاء الذاكرة التاريخية 35-34

1- مفهوم المنفى 36

2-مصطلح أدب المنفى 38-37

2- خصائص أدب المنفى 39

3- سرد المنفى في الرواية الجزائرية 44-39

4- الذاكرة الجزائرية المهددة بالضياع 44

5- أشكال الذاكرة 45

6- استدعاء الذاكرة التاريخية المهددة بالضياع قي الرواية 48-45

7- **الوسائل التي استعملها الرّوائي في استدعاء الذاكرة الجزائرية :.....49-48.**

الفصل الثاني : أشكال المقاومة الثقافية في رواية شبح الكاليدوني 50

المبحث الأول : المقاومة مبدأ أساسي للرفض المطلق للاستعمار 54-51

المبحث الثاني : أشكال المقاومة الثقافية في الرواية .....

1- المقاومة من خلال التعليم 58-55

2- المقاومة والشِعر الشعبي 62-59

3- المقاومة من خلال تمسك بالعادات والتقاليد 64-62

4- **اللّباس التقليدي:**.....65-64

خاتمة 69-67

قائمة المصادر و المراجع.....75-71

الملاحق.....80-77

فهرس الموضوعات 83-82